

وتوكل على العزيز الرحيم



إلهاب الحماس للتنافس  
في قضاء حوائج الناس

# التوحيد

العدد ١٠ جنبات

العدد ٦٤١ السنة الرابعة والخمسون - جدد الأولى ١٤٤٦ هـ



## شفاعة الجنة والنار



Upload by : [altawhedmag.com](http://altawhedmag.com)

مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية العدد ٦٤١ السنة الرابعة والخمسون - جدد الأولى ١٤٤٦ هـ

العدد ١٠ جنبات

## السلام عليكم

بتوجيه من فضيلة الرئيس العام لجماعة أنصار  
السنة المحمدية- حفظه الله-؛ فإن مجلة التوحيد  
الغراء تشرف بدعوة خطباء ودعاة الجمعية الكرام  
وأهل العلم والفضل أصحاب المناهج المستقيمة إلى  
المشاركة البناءة في إثراء المجلة بمقالات هادفة وبناءة  
وبمنهج واضح وقلم سديد ، فمن وجد من نفسه  
نشاطاً ورغبة في المشاركة بقلمه ورأيه فليتفضل  
مشكوراً بالمراسلة على البريد الإلكتروني للمجلة،  
أو على واتساب رئيس التحرير ٠١٠٠٥٠٠٧١٥١،  
على أن تكون المقالة مكتوبة على ملف word. ويحد  
أقصى ١٣٠٠ كلمة للمقالة الواحدة.

ويتم نشر المقالات المرسله في حال الموافقة عليها بعد  
عرضها على إدارة المجلة.

ولكم منا وافر الشكر والتقدير.

## فَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ



جَمْعِيَّةُ أَنْوَارِ السُّنَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ

صاحبة الامتياز

جمعية أنصار السنة المحمدية

الاشتراك السنوي

١- في الداخل سعر  
الاشتراك السنوي للفرد  
(عدد نسخة واحدة  
من المجلة على عنوان  
المشترك) ٢٠٠ جنيه  
سنوياً.

للتواصل: واتساب:  
٠١٠٠٢٧٧٨٨٢٣٢

٢- في الخارج ما يعادل  
٨٠ دولاراً أو ٤٠٠ ريال  
سعودي بالجنيه المصري .

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٥١ مجلدًا

من مجلدات مجلة التوحيد عن ٥١ سنة كاملة

Upload by : altawhedmag.com



رئيس التحرير التنفيذي:

حسين عطا القراط

الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد  
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية  
١٢ ريالاً ، الإمارات ١٢ درهماً  
، الكويت ١ دينار ، المغرب  
دولاران أمريكيان ، الأردن ١  
دينار ، قطر ١٢ ريالاً ، عمان  
أريال عماني ، أمريكا ٤  
دولارات ، أوروبا ٤ يورو

إدارة التحرير:

٨ شارع قولة عابدين- القاهرة

٢٣٩٣٠٦٦٢ فاكس ، ٢٣٩٣٦٥١٧

البريد الإلكتروني:

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

## فهرس العدد

٢	افتتاحية العدد	الشيخ أحمد يوسف عبد المجيد
٥	باب التفسير	د. عبد العظيم بدوي
٨	باب العقيدة، مبادئ علم التوحيد	د. عبد الله شاكِر
١١	الازدواجية والظاهرة المكدرة	د. عاطف الفاروقي
١٤	طريقة القرآن في عرض موضوعاته	أ.د. محمد حامد
١٧	باب السنة	د. جمال المراكبي
٢١	غزوة أحد	د. سيد عبد العال
٢٤	الحياء تاج الأخلاق	الشيخ صلاح نجيب الدق
٢٨	قضاء حوائج الناس	المستشار/ أحمد السيد علي
٣٢	واحة التوحيد	د. علاء خضر
٣٤	أحوال العباد يوم التناد	الشيخ رضا الخطيب
٣٦	صلاح الأمة في علو الهمة	الشيخ/ محمد صفوت نور الدين
	من روائع الماضي : الرسول بين الميلاد البشري والميلاد النبوي	
٤٠	الشيخ/ محمد حامد الفقي رحمه الله	
٤٥	تحذير الداعية من القصص الواهية	الشيخ علي حشيش
	الانفاذ الموهمة في باب الصفات بين الاجمال والاستفصال (٥)	
٤٩	أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي	
٥٣	الحياة الزوجية في الإسلام	الشيخ إبراهيم حافظ رزق
٥٦	خلق الرفق	الشيخ صلاح عبد الخالق
٥٩	الاستنفار للزوم الاستغفار	الشيخ عبده أحمد الأقرع
٦٢	كيف نفوز بمحبة الله؟	أ/ عبد العزيز مصطفى الشامي

منفذ البيع التوحيد  
بمقر مجلة التوحيد  
الدور السابع

١٢٠٠ جنيهه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات  
داخل مصر و ٣٠٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن

# وتوكل على العزيز الرحيم

إعداد الشيخ / أحمد يوسف عبد المجيد  
الرئيس العام

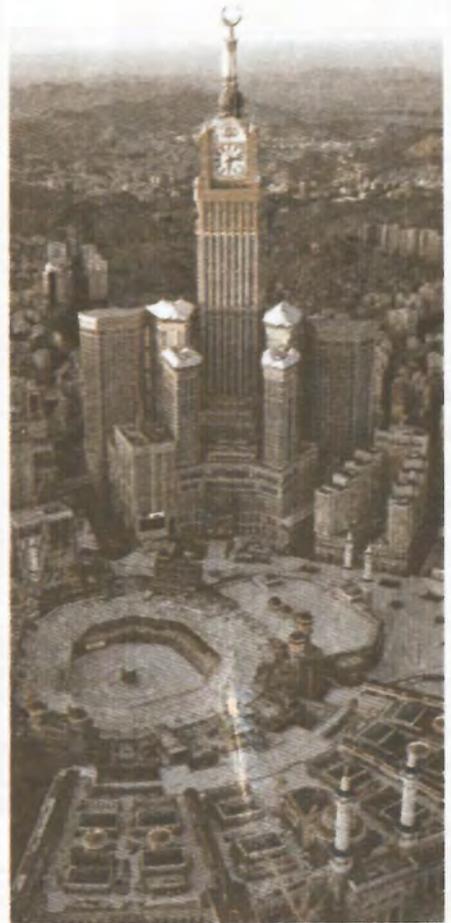
الحمد لله الذي من توكل عليه كفاه، والصلاة والسلام على خير من توكل على مولاه. وبعد، فإن من الكلمات الدارجة على ألسنة كثير من الناس (توكل على الله)؛ والناس مع التوكل ينقسمون إلى قسمين: قسم لا يعرف إلا الأسباب، ويظن أنها كل شيء ويعتمد عليها دون التوكل على الله مسبب الأسباب، وهذا عاقبته وخيمة وسعيه ضال.

وقسم موفق أيقن بضعفه وسلم من الغرور، وعلم أن كل شيء في الكون إنما هو بقدر الله سبحانه، وأنه لا يكون في ملكه إلا ما يريد؛ فسلم أمره لله وحده وتوكل عليه، وأيقن بعزته ورحمته؛ فأخذ بالأسباب، ممتثلاً قوله تعالى: «تَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ» (الشعراء: ٢١٧).

قال القرطبي-رحمه الله- عند تفسيره لهذه الآية: (أي: فوض أمرك إليه فإنه العزيز الذي لا يُغالب، الرحيم الذي لا يخذل أوليائه)، والتوكل في لغة العرب كما قال ابن منظور: المتوكل على الله هو الذي يعلم أن الله كافل رزقه وأمره، فيركن إليه وحده، ولا يتوكل على غيره. والتوكل إظهار العجز والاعتماد على غيرك.

والتوكل من العبادات القلبية التي بها يَفُوض العبد أمره لربه لثقتة بقدرته سبحانه على كل شيء.

قال القرطبي عند تفسير قوله تعالى: «وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَسَتَرْكَبُ



يتوكلون»، ومن حسن توكلهم على الله أنهم لا يسترقون ولا يتطيرون.

والله حسب المتوكلين وكافهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ تَلْعَنُ أُمَّةٌ قَدْحَمَلُ اللَّهُ يَكْفُرُ خَيْرًا وَقَدْرًا﴾، (الطلاق: ٣).

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره: «أي: من فوّض أمره إليه كفاه ما أهمه، وقيل: من اتقى الله وجانب المعاصي وتوكل عليه فله فيما يعطيه الله في الآخرة من ثوابه كفاية. ولم يرد الدنيا؛ لأن المتوكل قد يُصاب في الدنيا وقد يُقتل، والمتأمل في حال المتوكلين يرى عجباً. من يظن أن آدمياً يُلقى في النار ثم يخرج منها سالماً؛ إنه الخليل إبراهيم لما قال بلسانه موقناً بقلبه: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»؛ قال سبحانه: «قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا يَفْتَرُونَ الْكُفُورَ» (الأنبياء: ٦٩).

وهذا كليم الله موسى عليه السلام يقول واثقاً في ربه متوكلاً عليه وقد لاحقه فرعون بجنوده وليس أمامه إلا البحر: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا رَبِّي سَتِيبُ الرَّعْدِ﴾ (الشعراء: ٦٢). فكانت النتيجة: ﴿فَأَرْجَا إِلَى رَبِّي لِيَأْتِيَنِي بِعَصَا الْخَرِّ فَأُلْقِهَا فَوَجَدَ فِي يَدَيْهِ عَصَاً مَعِيناً﴾ (الشعراء: ٦٣). إنه التوكل الذي دعا موسى قومه إليه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى بِرَبِّي إِنَّكُمْ أَنْتُمْ وَآلُكُمْ عَلَى اللَّهِ كَافِرُونَ﴾ ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٨٤-٨٥).

ولا شك أن النجاة وسط هذه الأزمات إنما هي بحسن التوكل على الله تعالى، وتفويض الأمر إليه في كل صغير وكبير؛ فهو سبحانه القادر على كل شيء، وسيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من بيته يخرج متوكلاً على الله، كما في

التَّوَكُّلُ» (إبراهيم: ١٢): والتوكل على الله هو الثقة بالله، واليقين بأن قضاءه ماضٍ، واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم في السعي فيما لا بد منه من الأسباب من مطعم ومشرب، وتحرز من عدوٍ واعداد الأسلحة واستعمال ما تقتضيه سنة الله تعالى المعتادة، وخير من توكل على الله هم رسل الله، كيف لا وهم من اختارهم ربهم واصطفاهم، قال تعالى في سياق حديث الأنبياء مع أقوامهم: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَئِنَّكُمْ كَفَرْتُمْ لَقَدْ فَتَنَّا الْتَّوَكُّلُونَ﴾ (إبراهيم: ١٢).

وهذان هما الخليلان إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام كانا قدوة في التوكل على الله تعالى في مواقف لا يثبت فيها إلا المتوكلون حقاً.

فقد روى البخاري من حديث ابن عباس رضي الله

عنهما قال: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ...» وقال ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية: أي الذين توعددهم الناس بالجموع، وخوفهم بكثرة الأعداء فما اكثرثوا لذلك، بل توكلوا على الله، واستعانوا به وقالوا: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ».

والتوكل على الله تعالى يصل بالعبد إلى دخول الجنة بغير حساب في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة كما في الصحيح من حديث ابن عباس: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب، هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم

التوكل على الله هو الثقة به  
تعالى، واليقين بأن قضاءه ماضٍ

حديث الذي رواه أبو داود والترمذي وغيرهما، عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من بيته قال: «بسم الله، توكلت على الله، اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل، أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي».

وقد سمَّاه ربه "المتوكل"؛ كما في الحديث الصحيح. وقد علمنا صلى الله عليه وسلم أن من توكل على الله عند خروجه من بيته قولاً وعملاً؛ كفاه الله ما أهمه، وهده ووقاه من كل سوء. وصرف الشيطان عنه. كما في حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال -يعني إذا خرج من بيته- بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: هُديت وكُفيت ووُقيت، وتنحى عنه الشيطان».

إن التوكل على الله معناه أن يكون القلب فارغاً تماماً من غير الله مهما كانت قوته وسطوته وعلوه، فما سوى الله لا يملك من الأمر شيئاً. **قوله** «قوله» على ضعف قوى البشر كلها من أن الله كتب عليهم الموت وأظهر سبحانه ضعفهم أمام الموت فقال لهم: **«أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسُكِّرْنَا بِهِ لُحُوبَ آلِ إِبْرَاهِيمَ فَأَتَوْا عَلَى ذُرِّيَّتِهِمْ مِنَ الضَّعْفِ»** (آل عمران: ١٦٨)، عجباً لأمر المتوكل على غير الله! إنه ضعيف يتوكل على ضعيف، وفقير يعتمد على فقير، بل وميت يتوكل على ميت.

والتوكل الصادق يكون على الله وحده: **«وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ أَعْيُنَنَا لَا تَبْصُرُ»** (الفرقان: ٥٨). وفي هذه الآية درس لمن يتوكلون على الأحياء، فما بال من يتوكلون على الموتى، ويعلقون عليهم الحاجات، ويظنون بهم تفريغ الكربات ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وإن من الجهل أن يظن الناس أن التوكل معناه ترك الأسباب، أو أن يعتمدوا على الأسباب. إن التوكل الصحيح معناه اعتماد القلب على الله والعمل

بالجوارح بالأسباب، وهذا سيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم يأمره ربه بمشاورة أصحابه في الأمر؛ فإذا عزم عليه فليتوكل على الله؛ قال تعالى: **«وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَى الْمُتَوَكِّلِينَ»** (آل عمران: ١٥٩).

وعليه فإن التوكل على الله لا ينافي الأخذ بالأسباب؛ فإن سنة الله تعالى الماضية في خلقه أنه جعل الأسباب سبيلاً للحصول على المطلوب؛ فإذا أراد المرء طلب الولد، فلا بد من الزواج والمباشرة؛ قال تعالى: **«فَأَنْزَلْنَا مِنْ سَمَاءٍ مَاءً فَسَوَّيْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَبَلَغْنَا فِيهَا مِنْ أَنْبَاءِ الْوَحْيِ الْأَنْبِيَاءِ»** (البقرة: ١٨٧).

وقد ساق ابن كثير عند تفسيرها قول أبي هريرة وابن عباس وأنس رضي الله عنهم وعدد من التابعين أن المقصود بقوله: «وابتغوا ما كتب الله لكم» يعني الولد؛ فلا بد من الأخذ بالأسباب وعدم الاعتماد عليها؛ لأن الاعتماد عليها ينافي صحيح التوحيد؛ فكم من أسباب لم يرد الله لها أن تحقق المطلوب! لقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أسباب الرزق في قوله صلى الله عليه وسلم: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير؛ تغدو خماصاً وتروح بظاناً»، ومن الحديث نرى أن أسباب الرزق تحصل بالسعي مع التوكل على الله؛ فالطير القادرة على الخروج من أعشاشها تخرج سعيًا على رزقها معتمدة على ربه.

فما أحوجنا ونحن في طريقنا إلى الإصلاح ومواجهة أهل الضلال وإعراض الناس ودفاعهم عن باطلهم أن نحسن التوكل على الله تعالى: **«إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَوْلَى الْقَائِمُ بِالظُّلْمِ»** (التوبة: ١٢٩)!

فما أحوجنا إلى معرفة المعنى الصحيح للتوكل لنعيش حياة السعداء المطمئنين: **«الْمُتَوَكِّلِينَ»** (الرعد: ٢٨).

فאלلهم ارزقنا حسن التوكل عليك.

# سورة الأحزاب

## سورة الأحزاب

### سورة الأحزاب

قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَطِيعُ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١ وَأَنْتُمْ مَا يُؤْتِيكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّكَ أَنْتَ كَذَّابٌ مِمَّا تَمْتَلِكُونَ كَيْدًا ٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِأَمْرٍ وَكِيلًا ٣» (الأحزاب: ١-٣).

#### إعداد: د. عبد العظيم بدوي

الإسلامية، وقد تناولت حياة المسلمين الخاصة والعامة، وخاصة أمر الأسرة، فشرعت الأحكام بما يكفل للمجتمع السعادة والهناء، وأبطلت بعض التقاليد والعادات الموروثة، مثل: التبني، والظهار، واعتقاد وجود قلبين للإنسان، وطهرت من رواسب المجتمع الجاهلي، ومن تلك الخرافات والأساطير الموهومة التي كانت متفشية في ذلك الزمان. (صفحة التفاسير: ٥٠٩/٢).

استفتحت السورة الكريمة بتوجيه الرسول-صلى الله عليه وسلم- إلى تقوى الله وعدم الطاعة للكافرين والمنافقين، واتباع ما يوحي إليه ربه، والتوكل عليه وحده. ثم ألقت بكلمة الحق والفضل في بعض التقاليد والأوضاع الاجتماعية. ثم تحدثت عن نعمة الله على المؤمنين، إذ رد عنهم كيد الأحزاب والمهاجمين.

ثم تحدثت عن تخيير أزواج النبي-صلى الله عليه وسلم- اللواتي طالبنه بالتوسعة في النفقة عليهن، بين متاع الحياة الدنيا وزينتها، وإيثار الله ورسوله

#### بين يدي السورة:

هكذا سُميت «سورة الأحزاب» في المصاحف وكتب التفسير والسنة، وكذلك رويت تسميتها عن ابن عباس وأبي بن كعب-رضي الله عنهم- بأسانيد مقبولة. ولا يعرف لها اسم غيره. ووجه التسمية أن فيها ذكر أحزاب المشركين من قريش ومن تحزب معهم، أرادوا غزو المسلمين في المدينة فرد الله كيدهم وكفى الله المؤمنين القتال. (التحرير والتنوير: ٢٤٥/٢١).

#### مناسبتنا لما قبلها:

ووجه اتصالها بما قبلها على ما قال الجلال السيوطي-رحمه الله- تشابه مطلع هذه وآخر تلك، فإن تلك ختمت بأمر النبي-صلى الله عليه وسلم- بالأعراض عن الكافرين وانتظار عذابهم، وهذه بدأت بأمره-صلى الله عليه وسلم- بالتقوى وعدم طاعة الكافرين والمنافقين واتباع ما أوحى إليه والتوكل عليه-عز وجل- (روح المعاني: ١٤٠/١١).

#### ما اشتملت عليه:

هي سورة مدنية شأنها شأن السور المدنية في الاهتمام بالجانب التشريعي لحياة الأمة



قال تعالى: «**اعْمَلُوا مَا بَيْنَكُمْ إِذْ بَايَعْتُمْ صَبْرًا**» (فصلت: ٤٠). وفي الحديث عن أبي ذر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم بإياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» (صحيح مسلم: ٢٥٧٧).

### الأمر بالتوكل على الله:

ولما نهى الله تعالى نبيه -صلى الله عليه وسلم- عن طاعة الكافرين والمنافقين، وكان ذلك ربما تسبب في إيدانهم له، واعتدائهم عليه، قال تعالى لنبيه -صلى الله عليه وسلم-: «وتوكل على الله، أي فوض جميع أمرك إليه، وكفى بالله وكيلًا» (إرشاد العقل السليم: ٢٠٩/٥).

«واتبع ما يوحى إليك من ربك، فإنه هو الهدى والرحمة، وأرج بذلك ثواب ربك، إن الله كان بما تعملون خبيرًا، وسيجزيكم بحسب ما يعلمه منكم، من الخير والشر، فإن وقع في قلبك، أنك إن لم تطعهم في أهوانهم المضلة حصل عليك منهم ضرر، أو حصل نقص في هداية الخلق، فادفع ذلك عن نفسك، واستعمل ما يقاومه ويقاوم غيره، وهو التوكل على الله، بأن تعتمد على ربك، اعتماد من لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، ولا موتا ولا حياة، ولا نشورا، في سلامتك من شرهم، وفي إقامة الدين، الذي أمرت به، وثق بالله في حصول ذلك الأمر على أي حال كان».

«وكفى بالله وكيلًا، توكل إليه الأمور فيقوم بها، وبما هو أصح للعبد، وذلك لعلمه بمصالح عبده، من حيث لا يعلم العبد، وقدرته على إيصالها إليه، من حيث لا يقدر عليها العبد، وأنه أرحم بعبده من نفسه، ومن والديه، وأزاف به من كل أحد» (تيسير الكريم الرحمن: ٦/١٩٣ و١٩٤).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

ومعنى النهي: «ولا تطع الكافرين والمنافقين، أي فيما يعوذبوهن في الدين، وأعطاء دنية فيما بين المسلمين» (إرشاد العقل السليم: ٢٠٨/٥).

وكانوا يدعون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى أشياء يريدون بها في الظاهر تقريب وجهات النظر، والقضاء على الخلاف الذي بينهم وبينه -صلى الله عليه وسلم-، فنهاه الله عن ذلك، كما قال تعالى: «**إِنَّا**

**عَنْ رَبِّنَا عَلَيْنَا الْقَدْرَانِ نَمْرَبُهُمَا**» (الأنسان: ٢٣، ٢٤)، «وإنما نهاه الله تعالى عن طاعتهم لأنهم أهل أهواء، وهو -صلى الله عليه وسلم- على هدى من ربه»، «**وَمَنْ أَسْرَأْ بِسِيِّئَةِ مَنَافِقٍ يَرْغَبُ بِمِثْرِهِمْ فَأَعْتَدَ اللَّهُ لَهُمْ جَهَنَّمَ**» (البقرة: ١٢٠).

«إن الله كان عليما حكيما، أي له مطلق العلم والحكمة، فيعلم جميع الأشياء من المصالح والمفاسد، فلا يأمرك إلا بما فيه مصلحة، ولا ينهيك إلا عما فيه مفسدة، ولا يحكم إلا بما تقتضيه الحكمة البالغة».

### وجوب اتباع الوحي:

«واتبع، أي في كل ما تأتي وتذري من أمور الدين ما يوحى إليك من ربك، من الآيات التي من جملتها هذه الآية الأمرة بتقوى الله، الناهية عن مساعدة الكفرة والمنافقين، والأمر باتباع الوحي نهى عن اتباع غيره، وقد صرح ربنا سبحانه بذلك في قوله: «**اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قِيلَ مَا نَدَّبِكُمْ**» (الأعراف: ٣).

ثم حذر ربنا سبحانه من مخالفة ما أمر به أو نهى عنه، فقال تعالى: «إن الله كان بما تعملون خبيرًا، فإن امتثلتم لأمره فهو بكم عليكم، وسيجزيكم به، وإن لم تمتثلوا فهو بكم عليكم وسيجزيكم به، كما

# مبادئ علم التوحيد

عداد / د. عبد الله شاكِر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان. ويعد:  
لقد تناولنا في المقالات السابقة فضل علم التوحيد، وذلك من خلال موضوعه، ومعلومه،  
والحاجة إليه وثمرته. وفي هذه المقالة والمقالات القادمة يمدد من الله وعونه نتكلم عن مسائل  
علم التوحيد، ولكن قبل أن نتكلم عن هذه المسائل نبين أولاً في مدخل بسيط أن الناس مقطورون  
على التوحيد.

## (أ) التوحيد هو الأصل في البشر تاريخياً:

وما زال الناس في تاريخهم الطويل، من آدم إلى نوح  
(عليه السلام) والتي تقدّر بعشرة قرون -على  
التوحيد حتى حدث ما حدث في قوم نوح من عبادة  
الأصنام؛ بسبب الغلو في صالحهم، وعندهم انتشر  
الشرك في الناس بعدهم، وهكذا ما زالت الرسالات  
تتري وتتوالى، وتعيد الناس إلى العهد الأول وهو  
التوحيد، حتى رفع عيسى (عليه السلام) وحرّفت  
شريعته، فانتشر الشرك في الأرض، بسبب تحريف  
الوحي وتبديله.

توحيد الألوهية هو الأصل في خلق بني آدم؛ لأن  
الله خلقهم موحدين، وذلك أن أباهم آدم هو أول  
الموحدين. وبذا يعلم أن ما يدعيه بعض الناس من  
علماء الاجتماع وغيرهم -مسلمين أو كفاراً- من أن  
الإنسان الأول -كما يقولون- قد عبد الطوطم-  
والمراد بالطوطم: أصل القبيلة، وهذا لا شك خطأ  
محض، لا دليل عليه سوى التخرص، والحكم  
بالظن، والظن لا يغني عن الحق شيئاً، بل إنه  
يخالف الأدلة القطعية أيضاً من الكتاب والسنة  
النبوية والفقرة.

وأما الجزيرة العربية، فقد انقسم الناس فيها إلى  
أربع طوائف:

ونحن الآن نقيم الدليل على أن الأصل في البشر هو  
التوحيد من الناحية التاريخية، يعني: أن التاريخ  
على مداره يدل ويشير ويرشد إلى أن الأصل في  
البشر هو التوحيد.

- ١- يهود.
- ٢- نصارى.
- ٣- مشركون.
- ٤- حنفاء.



ففي المدينة النبوية قطن اليهود، وفي شمال الجزيرة سكن النصارى، وكذلك في جنوبها الغربي -أي: في اليمن وما قاربها- وفي مكة كان المشركون، وانما حدث الشرك فيهم بعد أن كانوا على ملة إبراهيم موحدين، بسبب تلك الرؤيا التي أراها الشيطان عمرو بن لحي الخزاعي -والذي كان شيخ مكة، والمقدم عندهم، وكانوا لا يصدرون رأياً ولا يوردونه إلا بمشورته -والتي أعلمهم فيها- أي: الشيطان، أعلم عمرو بن لحي- بمواقع الأصنام التي طمرها الطوفان أي: طوفان قوم نوح (عليه السلام).

وقد كان في الجزيرة العربية ورقة بن نوفل الذي تنصر، وزيد بن عمرو بن نضيل الذي هام على وجهه، وعبد الله على ملة إبراهيم، وكان هؤلاء على الملة الحنيفية ملة إبراهيم (عليه السلام) وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن زيد بن عمرو بن نضيل أنه: «يبعث أمة وحده». ولم يزل حال الناس على ذلك إلى بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

ومع هذا الوضوح من الناحية التاريخية، إلا أننا نجد شبهة أثارها بعض الناس، ومفادها: أن الأصل في الإنسان أنه مشرك، وأن التوحيد طارئ عليه، وقد زعم أصحاب هذه المقولة: أن الإنسان عرف الشرك، وتعدد الآلهة أولاً، ولم يعرف عقيدة التوحيد إلا بعد أن تطورت ومرت بعدة مراحل.

ويجب علينا أن نرد عليهم في هذا المقام، وأن نبين أن التوحيد هو الأصل في البشر تاريخياً، وذلك بالأدلة التالية:

أولاً: إن الغاية من خلق آدم (عليه السلام) وذريته هي عبادة الله وحده، كما قال تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (الذاريات: ٥٦).

ثانياً: آدم (عليه السلام) أبو البشر، وحواء أهمهم كانوا على التوحيد، وحين أكلوا من الشجرة، علما أن لهما رباً يقبل التوبة عن عباده، ويعضو عن السيئات،

فتضرعاً إليه قائلين: «وَلَا رَيْبَ لَكَ بِمَا نَفَعْنَا نَفْسَكَ وَإِنَّ رَبَّنَا لَمُبْتَلٍ» (الأعراف: ٢٣).

ثالثاً: إن الله اصطفى آدم (عليه السلام) وشرّفه بذلك، قال تعالى: «إِنَّا أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا نَّوْحًا وَإِنَّا نَسُفُهُمْ» (نوح: ٣٣)، ولا يكون الاصطفاء لمشرك أبداً، وقد أمر ملائكته بالسجود له، كما قال (جل شأنه): «وَإِذْ قَدْ فَتَنَّا بَنِي إِدْرَاةَ فَآدَمَ فَسَبَّوهُ إِذْ بَسَّسَ لَهُ الشَّيْطَانُ مِنْ تَحْتِهِمْ فَكَفَرُوا» (البقرة: ٣٤).

رابعاً: إن الله عز وجل قد أخذ العهد والميثاق على بني آدم، وهم في صلب أبيهم آدم (عليه السلام) أنه ربهم، وأشهدهم على أنفسهم، كما قال ربنا سبحانه في كتابه: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنِي آدَمَ مِنْهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَرَأَى بَنِي آدَمَ صَفْحَةَ أَنْ يُعْذِرَ لِقَوْمِهِ إِذْ أَخَذُوا مِنْهُمُ الْعَهْدَ وَقَالُوا لَنْ نَعْتَبَهُمْ» (الأعراف: ١٧٢).

خامساً: إن ذرية آدم (عليه السلام) من بعده كانوا يدينون بالتوحيد الخالص طيلة عشرة قرون: حتى حدث الشرك في قوم نوح (عليه السلام) وعند وقوعه بعث الله تعالى إليهم نوحاً (عليه السلام) يدعوهم إلى عبادة الله وحده؛ يقول تعالى: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ لِقَوْمِ أُمَّةٍ أَنْتُمْ إِكْبَادُ اللَّهِ يَا أُولِي الْأَبْصَارِ» (الأعراف: ٥٩).

سادساً: كلما انحرفت البشرية عن التوحيد، أرسل الله الرسل تدعو إلى عبادته وحده، ونبذ ما يُعبد من دونه، كما قال تعالى مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوْحِ إِلَيْهِ» (الأنبياء: ٢٥).

ولهذه الأمور الستة أو الأدلة البينة الواضحة، نستطيع أن نقول: إن الدليل والبرهان يؤكد أن الأصل في البشر هو التوحيد، وذلك من الناحية التاريخية.

#### (ب) التوحيد هو الأصل في البشر فطرة:

المراد بالفطرة هنا: أصل الخلقة، وهي ما أوجد

الله عليه الناس ابتداءً من الإيمان به عز وجل وتوحيده.

وكما كان التوحيد هو الأصل في البشر تاريخياً، فهو الأصل في البشر فطرة، للأدلة التالية:

أولاً: إن الله عز وجل منذ أوجد البشر فطرهم على التوحيد والإيمان به سبحانه خالقاً ومعبوداً، وأخذ عليهم العهد والميثاق منذ كانوا في أصلاب آبائهم. وقد ذكرنا الدليل على ذلك آنفاً.

ثانياً: إن الله عز وجل قد أمر رسوله صلى الله عليه وسلم وأمته داخله في الخطاب، أن يقيموا وجوههم، ويخلصوا دينهم له؛ لأن ذلك هو مقتضى الفطرة التي فطرهم رب العالمين سبحانه

وتعالى عليها، قال تعالى: « فَأَقْرُبْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّمَنْ أَتَىٰ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » (الروم: ٣٠).

ثالثاً: قد أخبر مولانا عز وجل أنه خلق عباده حنفاء كلهم، موحدين، مسلمين، مستقيمين، منييين لقبول الحق؛ لأن ذلك هو مقتضى الفطرة التي فطرهم عليها حين أخذ عليهم العهد في الذر. يقول الله عز وجل كما في الحديث القدسي الذي يرويه النبي صلى الله عليه وسلم: «واني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وانهم أنتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً» فالعباد كلهم مفضوون على الإسلام، والإيمان الصحيح، ولكن للشياطين دور في مسخ الفطرة، وتشويهها، وجعلها تنحرف عن المسار السوي.

فاذا طرأ على الفطرة ما يصرفها عن الصواب والحق، فإنها تحتاج إلى ما يصحح لها مسارها، ويردها عن الانحراف، وهذه مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

رابعاً: أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن كل مولود يولد مهيئاً للإسلام، وذلك في قوله: « ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟» ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه راوي الحديث: «واقراء وإن شئتم»، « فَأَقْرُبْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا » (الروم: ٣٠).

خامساً: إن الفطرة تدل على توحيد الألوهية؛ لأن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية؛ فمن أيقن أن الله ربه وخالقه، فلا بد أن يصرف العبادة له وحده، كما قال تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (البقرة: ٢١).

فالإنسان إذا آمن بأن الله (عز وجل) هو الخالق، الرازق، المحيي، المميت، بيده الأمر كله، واليه يرجع الأمر كله، فلا بد أن ينتهي به الأمر إلى أن المعبود بحق هو الله وحده دون سواه، لا شريك له؛ فيخضع قلبه له محبة، وإناية، وذلاً، وخوفاً، وخشية، وتوكلأ؛ إذ كيف يُعبد، أو يخاف، أو يحب محبة عبادة، أو يتوكل على مخلوق لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً.

ولعل الضوء الوحيد الذي يكشف لنا عن حال هذه الفترة هو ما جاء في قول الله (تبارك تعالى) من سورة البقرة: « كُنِ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَعَمَّ اللَّهُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَنْ يَأْتِي بِكَفَرٍ يَخْتُبُ لِمَنْ أَتَىٰ مِنْ النَّاسِ فَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُفَوُّوا مِنْ قَبْلِ مَا جَاءَهُمْ مِنَ اللَّهِ سَعْيًا يَنْتَهُمُ عَنْهُ اللَّهُ النَّارُ ؕ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ؕ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » (البقرة: ٢١٣).

فالتوحيد هو الأصل، والشرك طارئ عليه، والناس كانوا أولاً على هدى قبل أن تنحرف بهم الأهواء وتزلهم الشياطين. والحمد لله رب العالمين.



# الأزدي واجبة والظاهرة المكدره

إعداد: عاتق الفاروقى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. وبعد:  
فإن من أوجب الواجبات وألزم المهمات على المسلم: القيام بما تقتضيه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ومن مقتضياتها: النصح لله، ولكتابه، ولرسوله، وللمسلمين جميعاً. وفي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، من حديث تميم الداري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم..»

نومنا، الذي طال أمده، أيقظ الله المسلمين من غفلاتهم.  
وإن المتأمل في واقعنا اليوم يرى إقبالاً على الخير، بفضل الله وتوفيقه -بالرغم من مكدرات الحياة الصعبة- إلا أن في تلك المسيرة الطيبة ظاهرةً مكدرةً، تتمثل في اختلاف درجات الاستقامة وتعظيم حرمان الله وشعائر الدين؛ ففي بعض جوانب الحياة لدى فئات من المتدينين؛

فإذا قام المسلم بما ينبغي عليه من أداء النصيحة، نجا، ونجت سفينة المجتمع كله من مغبات الردى، وفتن الشهوات من الرذائل والرخا. نسأل الله السلامة والعافية، وأن يعصمنا بحوله وقوته، ويوفقنا لمرضاته.  
إننا بحاجة ماسة إلى أن نقف مع أنفسنا وقفة مرضية، وأن نلبث ملياً؛ لننتفكر في أنفسنا وأحوالنا؛ لنستيقظ من سبات



بحيث تجد المرء الواحد- مثلاً- حريصاً على دعوة الآخرين، لكنه ناس نفسه، خلي من بزوالدين وصلة الرحم، أو عري مما لا يسعه جهله من أحكام الشريعة، أو معنياً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكنه سيئ الخلق، عسر التعامل، أو يبدو حريصاً على نوافل العبادات، لكنه ذو هشاشة بينة في أداء الحقوق والتعاملات المالية، أو يعرف منه محافظته على الواجبات العينية: من صلاة وصيام وصدقة، لكنه لا يشتغل بالواجبات الكفائية: كتبليغ الدين وبذل النصيحة.

وليس الحديث هنا عن وقوع العبد في زلة في هذا الجانب أو ذاك؛ نتيجة غفلة أو فتور يعتريه؛ إذ ذاك موضع للمجاهدة، وميدان للابتلاء، كما قال تعالى: « **عُدُّ**

**الْعَمَلُ وَأَمْرٌ بِالْعَمَلِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ (٣)**  
**وَأَمَّا يَرْضُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ اللَّهِ**  
**إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤) إِنَّكَ لِلَّهِ أَقْنَمٌ إِذَا سَأَلْتَهُمْ**  
**تَلْفِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَلْفِيفٌ وَإِذَا هُمْ لِنُصُورَةٍ**  
**أَعْلَىٰ وَرَأْسِهَا يُؤَدُّوهُمْ فِي الْغَيِّْ ثُمَّ لَا يَقْبِضُونَ (٥)**»

(الأعراف: ١٩٩-٢٠٢). وقد قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كل ابن آدم خطاء إلا ما رحم الله». (أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" (٢٦٩) موقوفاً على ابن عمر).

ونحن اليوم نعيش معركة حامية مع الازدواجية في كثير من أجواء حياتنا إلا من رحم الله؛ يجمع فيها بين الحق والباطل، والصحيح والضعيف، والزين والشين.

نجد ازدواجية وانقساماً للشخصية عجيباً؛ ترى شخصاً غير وبدل، ويُعلّق على صدره سلسلة، وقد تلبس بأسورة في يده متشبهاً بالمرأة. وترى آخر يعتاد المساجد، وشاربه يجرع على شفتيه طويلاً. ترى المرأة الكاسية العارية، وهي تمسك بالسبحة تسبح وتستغفر، وتقول: هذه نقرة، وهذه نقرة، وترى أخرى تمازح الرجال وتضحكهم، وإذا بها تظهر لك العبودية والذكر لله تعالى.

وترى هذا يأكل أموال الناس بالباطل، ثم يقول: «إني أخاف الله». متشبهاً بالشیطان الرجيم، كما ذكر الله عنه، قوله: «إني أخاف الله رب العالمين».

إن الازدواجية نوع من النفاق، فصاحبها فيه تشبه بالمنافقين، بل هو منهم بقدر ما فيه من خصالهم، وتلونهم. وقد جاء في حديث أبي هريرة، مرفوعاً: "تجدون شر الناس ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، ويأتي هؤلاء بوجه". (أخرجه البخاري ٣٤٩٤، ٦٠٥٨، ومسلم: ٢٥٢٦).

قال ابن القيم رحمه الله في "بدائع الفوائد": إن لله على العبد عبوديتين: عبودية باطنة، وعبودية ظاهرة، فله على قلبه عبودية، وعلى لسانه وجوارحه عبودية، فقيامه بصورة العبودية الظاهرة مع تعريه عن حقيقة العبودية الباطنة، مما لا يقربه إلى ربه، ولا يوجب له الثواب وقبول عمله، فإن المقصود: امتحان القلوب، وابتلاء السرائر؛ فعمل القلب هو روح العبودية ولبها، فإذا خلا



عمل الجوارح منه كان كالجسد الموات بلا روح.

والنية؛ هي عمل القلب الذي هو ملك الأعضاء، والمقصود بالأمر والنهي، فكيف يسقط واجبه ويعتبر واجب رعيته وجنده وأتباعه، اللاتي إنما شرعت واجباتها لأجله ولأجل صلاحه، وهل هذا إلا عكس القضية وقلب الحقيقة.

والمقصود بالأعمال كلها ظاهرها وباطنها؛ إنما هو صلاح القلب وكماله وقيامه بالعبودية بين يدي ربه وقيومه والهه، ومن تمام ذلك؛ قيامه هو وجنوده في حضرة معبوده وربيه، فإذا بعث جنوده ورعيته وتغيب هو عن الخدمة والعبودية، فما أجدرتك الخدمة بالرد والمقت، وهذا مثل في غاية المطابقة.

وهل الأعمال الخالية عن عمل القلب إلا بمنزلة حركات العابثين، وغايتها أن لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب.

ولما رأى بعض أرباب القلوب طريقة هؤلاء انحرف عنها إلى أن صرف همه إلى عبودية القلب، وعطل عبودية الجوارح، وقال: المقصود قيام القلب بحقيقة الخدمة، والجوارح تبع.

والطائفتان متقابلتان أعظم تقابل: هؤلاء لا التفات لهم إلى عبودية جوارحهم ففسدت عبودية قلوبهم، وأولئك لا التفات لهم إلى عبودية قلوبهم ففسدت عبودية جوارحهم.

والمؤمنون العارفون بالله وبأمره قاموا له بحقيقة العبودية ظاهراً وباطناً وقدموا

قلوبهم في الخدمة، وجعلوا الأعضاء تبعاً لها، فأقاموا الملك وجنوده في خدمة المعبود، وهذا هو حقيقة العبودية.

ومن المعلوم: أن هذا هو مقصود الرب تعالى بإرساله رسله وانزاله كتبه وشرعه شرائعه، فدعوى المدعي أن المقصود من هذه العبودية حاصل وان لم يصحبها عبودية القلب، من أبطل الدعاوى وأفسدها.

ومن تأمل الشريعة في مصادرها ومواردها؛ علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب، وأنها لا تنفع بدونها، وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح، وهل يميز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل واحد منهما من الأعمال التي ميزت بينهما، وهل يمكن أحد الدخول في الإسلام إلا بعمل قلبه قبل جوارحه، وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح وأكثر وأدوم، فهي واجبة في كل وقت، ولهذا كان الإيمان واجب القلب على الدوام، والإسلام واجب الجوارح في بعض الأحيان، فمركب الإيمان: القلب. ومركب الإسلام: الجوارح. انتهى كلامه رحمه الله.

وهو كلام قيم غاية في البيان والتحقيق. فنعود بالله من التفاق والرياء، ونعود به من الجور بعد الكور.

وكفانا ووقانا شر أنفسنا، ونعود به سبحانه أن نرجع على أعقابنا، أو أن نُنْقِصَ في ديننا. رزقنا الله الإخلاص في القول والعمل، وفي السر والعلن، وجعل باطننا خيراً من ظاهرها، بمنه وكرمه.

# طريقة القرآن البديعة في عرض موضوعاته من خلال سوره وآياته

عدادة  أ. د محمد حامد الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

المريدين (١٤٤/٤): "إن ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم".

وقال فخر الدين الرازي في تفسيره (١١٠/١٠): "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط".

وبالرغم من هذا كله فقد عابت طائفة من الناقمين على القرآن الكريم، والجاهلين بأنه تنزيل من حكيم حميد ما فيه من تفرُّق موضوعاته وتوزيعها، وعدم اجتماعها في نسقٍ مُرتَّبٍ يُعرِّض فيه الموضوع تلو الآخر بحيث يكون لكل منها نصيب من السور القرآنية حتى يكتمل الحديث عنه ثم ينتقل إلى غيره كما هي طريقة مؤلفات الناس ومصنفاتهم في تقسيمها.

والجواب عن ذلك يتحقق من جانبين:

عدم التسليم بأن القرآن غير منظم ولا مُرتَّب.

ذكر بعض أسرار توزيع الموضوعات القرآنية وتفرُّقها بين آيات القرآن وسوره.

أما الجانب الأول وهو: عدم التسليم بأن القرآن غير

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد؛ فإن القرآن الكريم يعرض موضوعاته بطريقة بديعة تختلف عن طرائق الكتاب والمؤلفين؛ إذ إنهم يُقسِّمون مؤلفاتهم لأبواب وفصول ومباحث ينتظم كل باب وما يشتمل عليه منها في فكرة معينة، وينحصر في موضوع خاص، ولكن القرآن الكريم جاء تقسيمه إلى سور، وكل سورة تضم مجموعة من الآيات تتعدد موضوعاتها ما بين عقيدة وتشريع وأخلاق. ومع ذلك ترى تناسقاً عجيباً، وارتباطاً مُحكمًا تتعاقب فيه معانيه، وتتلاحم معه أهدافه، ولا غرو أن كانت هذه الطريقة لونا من ألوان إعجازه، ودليلاً على أنه تنزيل من حكيم حميد.

وقد تفضَّن العلماء لذلك فاعتنوا بالبحث في طريقة القرآن ومناهجه في ترتيبه لسوره وآياته فكتبوا في علم المناسبات، ومقاصد السور، والوحدة للموضوعية للسور القرآنية إلى غير ذلك مما تقر به العين، وتنشر له الصدر.

قال أبو بكر ابن العربي المالكي في كتابه سراج

منظّم ولا مُرتّب فبيانه أن القرآن الكريم نزل مُفرّقًا بحسب الوقائع والأحداث، ثم رُتّب على هذا النمط الذي نقرّؤه، وله فاتحة كمقدمة الكتب، وهي سورة الفاتحة المذكورة في أوّله، وله سور كأبواب الكتب، ولو لم يكن ترتيب القرآن على خلاف أزمّة نزوله لأجل وضع الآية بجانب ما يناسبها من الآيات، لكان العدول عن ترتيبه على أزمّة نزوله إلى هذا الترتيب خاليًا من الحكمة، وهذا مُحال الله تعالى، ومن نازع في ذلك فهو ينازع في وصف الله بالحكمة ذلك، وهذا له حديث آخر (ينظر: النظم الفني في القرآن - عبد المتعال الصعيدي ص ٣-٤).

ومن لطيف ما قيل في ذلك قول ولي الله الملوي كما نقله عنه السيوطي في الإتقان (٣/٣٧٩) أن القرآن الكريم نزل "على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً".

أضف إلى ذلك أن الترتيب له طرق، والواقع أن كل سورة من سور القرآن الكريم تعالج مقصوداً كلياً يضم كل أجزائها ومقاطعها في تناسب بديع، وترباط عجيب، وهذا نوع من الترتيب بحسب المقاصد فلا وجه للإنكار، والحمد لله رب العالمين.

ولله درُ الشيخ د. محمد دراز حين قال في كتابه النفيس (النبأ العظيم ص ١٨٨): "إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجّمة بحسبها الإجاهل أضغاثاً من المعاني حُشيت حشواً، وأوزاعاً من المباني جمعت عفاً؛ فإذا هي -لو تُدبّرت- بنية متماسكة قد بُنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شُعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول؛ فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأقنية في بِنان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة، لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين

آحاد الجنس الواحد نهاية التضام والالتحاق. كل ذلك بغير تكلفة ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، وإنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه، يُريك المنفصل متصلاً، والمختلف مؤتلفاً.

ولماذا نقول: إن هذه المعاني تنتسق في السورة كما تنتسق الحجرات في البينان؟ لا، بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان، فبين كل قطعة وجارتها رباطٌ موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظامان عند المفصل ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائح تحيط بهما عن كتب، كما يشتبك العضوان بالشرابين والعروق والأعضاء؛ ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضاً خاصاً، كما يأخذ الجسم قواماً واحداً، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية...".

وأما الجانب الآخر فيكون بذكر بعض أسرار توزيع الموضوعات والمقاصد القرآنية وتفرقها بين آيات القرآن وسوره.

**ودونك بعض هذه الأسرار: مجيء القرآن بهذه الطريقة هو المناسب لحال المخاطبين ابتداءً به.**

وبيان ذلك أن هؤلاء المخاطبين بالقرآن ابتداء قوم لم يسبق لهم عهد بالتعليم والتشريع، لم يعتادوا الأساليب التدريسية، أو الأمالي العلمية، وإنما كانت عادتهم الخطابية والمقاولة، والقرآن جمع بين كونه دعوةً، وموعظةً، وتعليمًا، وتشريعًا باقياً، ومعجزةً.

وأسلوب المواعظ والدعوة قريب من أسلوب الخطابة، والقرآن لذلك لا يأتي على أساليب الكتب المؤلفة للعلم، أو القوانين الموضوعة للتشريع، فأودعت العلوم المقصودة منه في تضاعيف الموعظة والدعوة، وكذلك أودع فيه التشريع، ولا شك أن في

هذا تخفيفاً وتيسيراً على المتلقين (ينظر: التحرير والتنوير ١٥٧/٣).

### تحقيق الانتفاع بهدَايات القرآن في شتى الجوانب

#### لكل من حفظ أو تلا قليلاً من القرآن الكريم أو كثيراً

من فضل الله على عباده أن السورة الواحدة وإن كانت قصيرة تحوي كثيراً من الهدايات والإرشادات في المجالات المختلفة، فيحصل بسبب ذلك "التعبد به واستفادة كل حافظ للقليل من سوره كثيراً من مسائل الايمان والفضائل والأحكام والحكم المنبثة في جميع السور" (تفسير المنار ١٦٣/١).

شحنَ همم حملة هذه الشريعة، وعلماء هذه الأمة للتنقيب والبحث، واستخراج المقاصد من عويصات الأدلة، حتى تكون طبقات علماء الأمة صالحة في كل زمان- لفهم تشريع الشارع ومقصده من التشريع، فيكونوا قادرين على استنباط الأحكام التشريعية، ولو صيغ لهم التشريع في أسلوب سهل التناول لاعتادوا العكوف على ما بين أنظارهم في المطالعة الواحدة. من أجل هذا كانت صلوحية عباراته لاختلاف منازع المجتهدين، قائمة مقام تلاحق المؤلفين في تدوين كتب العلوم، تبعاً لاختلاف مراتب العصور (التحرير والتنوير ١٥٨/٣).

تجديد النشاط، ودفع السامة والملل التي تقع للإنسان نتيجة اشتغاله بأمر واحد لا ينظر في غيره، ولا يتعلم سواه.

والحق أن من فوائد نظم القرآن وأسلوبه الذي أنزله به رب العالمين العليم الحكيم، الرحيم مَرَج تلك الموضوعات والمقاصد كلها بعضها ببعض، وتضيقها في السور الكثيرة، الطويلة منها والقصيرة، بالمناسبات المختلفة، وتكرارها بالعبارات البليغة المؤثرة في القلوب، المحركة للشعور، النافية للسامة والملل، وهذه عادة من عادات القرآن في تفتن أساليبه تنشيطاً للمخاطبين والسامعين والقارئین ومن بلغ (ينظر: تفسير المنار ١٦٣/١، والتحرير والتنوير

٣٣٨/٢).

قال ابن عاشور في تفسيره (٣٨٨/٢): "عادة القرآن في ابداع الأحكام والقائنها بأسلوب سهل لا تسأم له النفس، ولا يجيء على صورة التعليم والدرس".

تربية العباد بما يصلحهم في جميع الجوانب، وتذكيرهم بذلك بين الفينة والأخرى وبيان ذلك أن القرآن الكريم كما ذكر رشيد رضا في تفسير المنار (١٧١/١) "كتاب تربية عملية وتعليم، لا كتاب تعليم فقط، فلا يكفي أن يذكر فيه كل مسألة مرة واحدة واضحة تامة كالمعهد في كتب الفنون والقوانين"، وإنما يتكرر التذكير بهذا المقصد في مناسبات مختلفة؛ ليستقيم عليه، ويكون منه على بال في كل حال.

### المرج بين الأحكام والترغيب والترهيب ودلائل قدرة الله كبريائه أقرب في التأثير، وأنفع في القبول، وتلقي التكليف بالتسليم.

قال فخر الدين الرازي في تفسيره (٢٣٢/١١-٢٣٣): "عادة الله في ترتيب هذا الكتاب الكريم وقع على أحسن الوجوه، وهو أنه يذكر شيئاً من الأحكام، ثم يذكر عقبيه آيات كثيرة في الوعد والوعيد والترغيب والترهيب، ويخلط بها آيات دالة على كبرياء الله وجلال قدرته وعظمة إلهيته، ثم يعود مرة أخرى إلى بيان الأحكام، وهذا أحسن أنواع الترتيب وأقربها إلى التأثير في القلوب؛ لأن التكليف بالأعمال الشاقة لا يقع في موقع القبول إلا إذا كان مقروناً بالوعد والوعيد، والوعد والوعيد لا يؤثر في القلب إلا عند القطع بغاية كمال من صدر عنه الوعد والوعيد، فظهر أن هذا الترتيب أحسن الترتيبات اللانقطة بالدعوة إلى الدين الحق".

هذه بعض أسرار مجيء موضوعات القرآن الكريم ومقاصده موزعة في القرآن ممزوجة بعضها ببعض، وما من شك أن المتدبر للقرآن الكريم سيجد أسراراً أخرى، ولله الحمد والمنة.

# شفاعة الجنة والنار

إعداد د. جمال المراكبي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتْ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ ادْخُلْهُ الْجَنَّةَ. وَمَنْ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتْ النَّارُ: اللَّهُمَّ اجْرُهُ مِنَ النَّارِ".

أخرجه أحمد والترمذي وصححه الألباني.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما استجار عبداً من النار سبع مرات في يوم؛ إلا قالت النار: يا رب إن عبدك فلائناً قد استجارك مني فأجره، ولا يسأل الله عبداً الجنة في يوم سبع مرات؛ إلا قالت الجنة: يا رب إن عبدك فلائناً سألتني فأدخله الجنة.

قال الألباني في "السلسلة الصحيحة": "أخرجه أبو يعلى في "مسنده" والضياء في "صفة الجنة. وقال الضياء: هذا الحديث عندي على شرط الصحيحين". وقال ابن القيم في حادي الأرواح: إسناده على شرط الصحيحين".

وعن الحارث بن مسلم عن أبيه مسلم بن الحارث التميمي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أسر إليه فقال: "إذا انصرفت من صلاة المغرب، فقل: اللهم أجرني من النار سبع مرات؛ فإنك إذا قلت ذلك ثم مت في ليلتك كتب لك جوار منها، وإذا صليت الصبح فقل كذلك فإنك إن مت في يومك كتب لك جوار منها. قال الحارث: أسرها إينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنحن نخص بها إخواننا.

رواه أحمد وأبو داود واللفظ له، والحديث مختلف في إسناده، حسنه ابن حجر، وضعفه الألباني، وابن القطن وجود إسناده ابن باز، وكأني بمن حسنه وجود إسناده قد راعى أنه في فضائل الأعمال. (فالحديث ضعيف)



(آل عمران: ١٤-١٥).

ثم وصف هؤلاء العباد المتقين الموفقين بأنهم «الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» قال ابن جرير: قل هل أنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا، الذين يقولون: ربنا إنا آمنا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

ومعنى قوله: «الذين يقولون ربنا إنا آمنا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا»: الذين يقولون: إنا صدقنا بك وبنبيك وما جاء به من عندك. «فاغفر لنا ذنوبنا»: يقول: فاستر علينا ذنوبنا، بعضوك عنها، وتركك عقوبتنا عليها، «وقنا عذاب النار»، ادفع عنا عذابك إيانا بالنار. وإنما معنى ذلك: لا تعذبنا يا ربنا بالنار. وإنما خصوا المسألة بأن يقيههم عذاب النار: لأن من زحزح يومئذ عن النار وأدخل الجنة فقد فاز بالنجاة من عذاب الله، وحسن مأبه. انتهى

قال السعدي: "توسلوا بمنة الله عليهم بتوفيقيهم للإيمان أن يغفر لهم ذنوبهم، ويقيهم شر آثارها، وهو عذاب النار".

وقال الله تعالى: «الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَمَّا وُفُوا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ يَتَذَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُشِركَكَ قَوْمًا عَادِلًا» (آل عمران: ١٩١).

وصف الله جل ثناؤه: "أولي الألباب" بأنهم يذكرون الله في كل أحوالهم قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، وهذا يشمل جميع أنواع الذكر بالقول والقلب، وأنهم «يتفكرون في خلق السموات والأرض» ليستدلوا بها على المقصود منها، فالتفكر عبادة من عبادات أولياء الله، فإذا تفكروا بها، عرفوا أن الله لم يخلقها عبثًا، فيقولون: «ربنا ما خلقت هذا باطلا». فسبحانك، عن كل ما لا يليق بجلالك، بل خلقتها بالحق وللحق، مشتملة على الحق. «فقنا عذاب النار» بأن تعصمنا من السيئات، وتوقفنا

حسنا المولى تبارك وتعالى على طلب الجنة والعمل من أجلها والفرح بنعيمها. وبين أن ذلك لا يكون إلا بالآيمان بالله والمسارعة في الخيرات والاجتهاد في أعمال الطاعات، وسؤال الله والطلب منه لننال رحمة الله ونفوز بها.

وحدثنا كذلك على الاستعاذة به سبحانه من النار: كي يجيرنا الله عز وجل منها؛ قال الله تعالى: «وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُهتَبَ بِكُمُومَها ۖ وَاللَّيْمَةَ الَّتِي وَاللَّيْمَةَ كُمُومَها ۖ وَسَاءَ لَكُمْ مَعِيرًا ۖ وَيَذَرِكُمْ فِيهَا اللّٰهُمَّ عَمَلُكُمْ وَالْأَرْضُ الَّتِي كُنْتُمْ فِيهَا ۗ» (آل عمران: ١٣١-١٣٣).

وفي آيات الذكر الحكيم: «رَبَّنَا مَا فِي الْأَرْضِ حَسَنَةٌ وَفِي الْأَرْضِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» (البقرة: ٢٠١)، وقد مدح الله عز وجل الداعين بها فقال: «أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (البقرة: ٢٠٢).

ولقد كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار" متفق عليه.

وكذلك أشر عن الصحابة أن منهم من كان يردد هذا الدعاء، ويكثر منه مثل أنس بن مالك، وعبد الله بن عمر، والمبشر بالجنة عبد الرحمن بن عوف، والآثار عنهم في ذلك مشهورة.

وقال الله تعالى: «الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَمَّا وُفُوا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ يَتَذَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُشِركَكَ قَوْمًا عَادِلًا» (آل عمران: ١٩١).

بعد أن ذكرنا ربنا-جل وعلا- بزيينة الحياة الدنيا وزخرفها، وأنها مجرد متاع في الدنيا، وأن ما عند الله في الجنة أتم وأبقى وأكمل للمتقين، «رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُشِركَكَ قَوْمًا عَادِلًا» (آل عمران: ١٩١). «وَاللَّيْمَةَ الَّتِي وَاللَّيْمَةَ كُمُومَها ۖ وَاللَّيْمَةَ الَّتِي وَاللَّيْمَةَ كُمُومَها ۖ وَسَاءَ لَكُمْ مَعِيرًا ۖ وَيَذَرِكُمْ فِيهَا اللّٰهُمَّ عَمَلُكُمْ وَالْأَرْضُ الَّتِي كُنْتُمْ فِيهَا ۗ» (آل عمران: ١٣١).



للأعمال الصالحات. لتنال بذلك النجاة من النار. ويتضمن ذلك سؤال الجنة: لأنهم إذا وقاهم الله عذاب النار حصلت لهم الجنة. ولكن لما قام الخوف بقلوبهم. دعوا الله بأهم الأمور عندهم أن يجيرهم من عذاب النار.

وفي هذا الحديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من سأل الله الجنة ثلاث مرات: أي: من دعا الله طالباً الجنة ملحاً في طلبه هذا.

"قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة": أي: اللهم استجب له وأجب دعاءه وأدخله الجنة.

"ومن استجار من النار ثلاث مرات: أي: ومن استعاذ بالله ودعا الله سائلاً. وكرر الدعاء ثلاث مرات أن ينجيه من النار.

تكلمت النار بعدما سمعت العبد يدعو الله أن ينجيه منها: "قالت النار: اللهم أجره من النار": اللهم استجب له وأجب دعاءه وأنجيه من النار وأعدّه منها.

وفي الحديث الآخر: سبع مرات. وهذا على سبيل الإلحاح في الدعاء: فالواجب على المؤمن الضطن ألا يغفل عن ذكر ربه عز وجل. وكذلك ذكر الموت وما بعده من الجنة والنار.

ويعلم أن الجنة أقرب إليه من شراك نعله. وأن النار أقرب إليه من شراك نعله. وأن يكثر من الدعاء ملحاً على ربه عز وجل أن ينجيه من عذاب النار. وأن يدخله الله الجنة مع السابقين المقربين في الفردوس الأعلى بيمينه وكرمه: فإن من يدخله الله النار فقد أخزاه الله بظلمه لنفسه. وما للظالمين يومئذ من أنصار.

#### ما يستفاد من الحديث:

في الحديث حث على سؤال الله الجنة والاستعاذة بالله من النار. وبيان توسل الجنة والنار ودعائهما

للمسلم باستجابة دعائه. وهذه شفاعة ما أعظمها أن تشفع لك الجنة لتدخلها بيمينه وفضله ورحمته. وتشفع لك النار لينجيك الله منها بفضله سبحانه ومغفرته.

قال المباركفوري في "تحفة الأحوذى بشرح سنن الترمذي": "من سأل الله الجنة بأن قال: اللهم اني أسألك الجنة. أو قال اللهم أدخلني الجنة. وكرره في مجالس أو مجلس بطريق الإلحاح على ما ثبت أنه من آداب الدعاء. ومن استجار من النار بأن قال: اللهم أجرني من النار: قالت النار: اللهم أجره أي حفظه أو أنقذه من النار: أي من دخوله فيها أو خلوده فيها.

وجل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يدور حول هذا: سؤال الله عز وجل الجنة والتعوذ به سبحانه من عذاب النار. ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: "حولها ندندن".

أخرج أبو داود عن أبي صالح عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل: "ما تقول في الصلاة". قال: أتشهد ثم أقول: اللهم اني أسألك الجنة. وأعوذ بك من النار. ولا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ. قال: "حولها ندندن". (صححه الألباني)

وروى ابن ماجه في سننه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل: ما تقول في الصلاة؟ قال: أتشهد ثم أسأل الله الجنة. وأعوذ به من النار. أما والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ. فقال: حولها ندندن.

وقوله عليه الصلاة والسلام: حولها ندندن. أي هذا الذي نطلبه.

قال في لسان العرب: الدندنة أن تسمع من الرجل نغمة ولا تظهم ما يقول. وقيل الدندنة الكلام الخفي. وفي شرح سنن ابن ماجه: الدندنة الصوت

# غزوة أحد

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. أما بعد، فما زلنا في الحديث عن غزوة أحد، وقد ذكرنا قبل ذلك، أن عبد الله بن أبي رجع بثلت الجيوش، وهنا يدور في الذهن سؤال وهو: هل تأثر أحد من المسلمين بهذا الموقف المخزي من ذلك المنافق أم لا؟

د. سيد عبد الغال



امام وخطيب بوزارة الأوقاف

ما هموا به من الفشل؛ لأن ذلك كان من وسوسة الشيطان من غير وهن منهم. فتح الباري (٣٥٧/٧). وهذا يبين لنا أموراً عظيمة؛ الأول: خطر النفاق.

الثاني: أهمية تقوية الإيمان، والعمل على زيادته بكل عمل صالح مع سلامة المعتقد؛ فهو سبب لحفظ الله العبد من السوء الذي يهيم به؛ فلو لا إيمانهم الصادق، وعملهم الصالح، وقصدهم الخير، لما كانوا من أولياء الله الذين دفع عنهم الهم السيئ؛ فتأمل خذلان الله للمنافقين عقوبة لهم، وحفظه للمؤمنين، وتولييه لهم جزاء لهم، ومن القواعد المقررة في الشريعة: أن "الجزاء من جنس العمل".

الثالث: أن هاتين الطائفتين من أولياء الله فلا يخطر ببالك قَدْح في الصحابة؛ لأن الذي في آخر الآية ثناء، ومدح عظيم على الطائفتين اللتين همتا بالفشل، ووجهه: هو أن الآية ناطقة مفضحة بأن الله وليهم، وأن تلك الهمة التي هموها ما أخرجتهم من ولاية الله تعالى، وفي هذا من الشرف العظيم لهاتين الطائفتين ما لا يعلمه إلا الله، ولذلك قال جابر: "وما أحب أنها لم تنزل"، وحق لجابر-رضي الله عنه- أن يسر، ويضرح بالتنويه بهذه المنقبة

والجواب: نعم؛ فقد تأثر بنو سلمة وبنو حارثة بموقف المنافقين، ولكن تولاهاهم الله؛ حيث إنه لما رجع ابن سلول وأصحابه همب بنو سلمة وبنو حارثة بالرجوع، فعصمهما الله سبحانه وتعالى وثبتهما، ولحقتنا بالرسول-صلى الله عليه وسلم-؛ فعن جابر-رضي الله عنه- قال: نزلت هذه الآية فينا؛ إذ همت طائفتان منكم أن تفضلا، بني سلمة وبني حارثة، وما أحب أنها لم تنزل، والله يقول: «والله وليهما». صحيح البخاري (٤٠٥).

قال ابن حجر: فلما رجع عبد الله سقط في أيدي طائفتين من المؤمنين، وهما بنو حارثة وبنو سلمة. (فتح الباري: ٣٤٦/٧).

وقال-أيضاً-: الفشل-بالفاء والمعجمة- الجبن، وقيل: الفشل في الرأي العجز، وفي البدن الإعياء، وفي الحرب الجبن، والولي الناصر.

وقوله "نزلت هذه الآية فينا" أي: في قومه بني سلمة، وهم من الخزرج، وفي أقاربهم بني حارثة، وهم من الأوس قوله "وما أحب أنها لم تنزل" والله يقول «والله وليهما» أي: وإن الآية، وإن كان في ظاهرها غص منهم لكن في آخرها غاية الشرف لهم؛ قال ابن إسحاق: قوله «والله وليهما» أي: الدافع عنهما

العظيمة: لأن ولاية الله لا يظفر بها إلا المؤمنون والصالحون من عباده. (عقيدة أهل السنة في الصحابة: ١/١٨٤).

#### وهذا موقف يتجلى فيه تربية صادقة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما: "أنه قال عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وأنا ابن أربع عشرة سنة، فلم يجزني ثم عرضني يوم الخندق، وأنا ابن خمس عشرة سنة، فأجازني" (صحيح البخاري: ٢٦٦٤).

ويرى في بعضهم الأهلية للقتال؛ فيجيزه؛ وكان ممن أجاز سمرة بن جندب، ورافع بن خديج، ولهما خمس عشرة سنة، وكان ممن رد يومئذ أسامة بن زيد بن حارثة، وأسيد بن ظهير، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت.... ثم أجازهم يوم الخندق.

ونلاحظ: أن المجتمع الإسلامي يضح بالحركة، ويسعى للشهادة شبيهاً وشباباً، وحتى الصبيان يقبلون على الموت ببسالة، ورغبة في الشهادة، تبعث على الدهشة، دون أن يجبرهم قانون التجنيد، أو تدفع بهم قيادة إلى ميدان القتال، وهذا يدل على أثر المنهج النبوي الكريم في تربية شرائح الأمة المتعددة على حب الآخرة والترفع عن أمور الدنيا. (السيرة النبوية للصلابي: ٤٨٠).

#### تصور عام مختصر:

وفي صبيحة يوم السبت الخامس عشر من شوال عبأ رسول -صلى الله عليه وسلم- أصحابه للقتال، وأخذ يسوي صفوفهم، وعلى خيل المشركين وهي مائة فرس؛ خالد بن الوليد، وليس مع المسلمين فرس، وصاحب لواء المشركين طلحة بن عثمان، وظاهر صلى الله عليه وسلم يومئذ بين درعين، أي: لبس درعين أحدهما فوق الآخر. (صحيح سنن أبي داود: ٢٥٩٠).

وقد جعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على الميمنة: المنذر بن عمرو-رضي الله عنه-، وعلى الميسرة: الزبير بن العوام-رضي الله عنه- يسانده:

المقداد بن عمرو-رضي الله عنه-، وكان للزبير-رضي الله عنه- مهمة أخرى، وهي الصمود في وجه فرسان خالد بن الوليد، وفي هذا نزل قوله تعالى: «إذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم». وكان أول من برز من المشركين يومئذ أبو عامر الراهب، الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم: بالفاسق عدو الله وعدو رسول الله صلى الله عليه وسلم، مات كافراً، ومن العجيب أنه والد حنظلة رضي الله عنه غسيل الملائكة الكرام يوم أحد.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: لقينا المشركين يومئذ وجعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجالة جيشاً من الرماة يوم أحد، وكانوا خمسين رجلاً وأمر عليهم عبد الله بن جبير، فقال: "إن رايتمونا تحطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم، هذا حتى أرسل إليكم، وإن رايتمونا هزمتنا القوم وأوطاناهم؛ فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم"، وكان صاحب لواء المسلمين مصعب بن عمير فبارز طلحة بن عثمان فقتله، وحمل المسلمون على المشركين حتى أجهضوهم عن أبقالهم وحملت خيل المشركين فنضحتهم الرماة بالنبل ثلاث مرات.

قال البراء: فلما لقينا هزموهم وهربوا حتى رايت النساء يشتددن في الجبل، قال: فأنا والله رايت النساء يشتددن، قد بدت خلاخلهن وأسوقهن، رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم؛ فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: والله لنائين الناس؛ فلنصيب من الغنيمة؛ فلما أتوهم صرفت وجوههم، فأقبلوا منهزمين.

(هتروا مكانهم ودخل العسكر فأبصر ذلك خالد بن الوليد ومن معه؛ فحملوا على المسلمين في الخيل؛ فمزقوهم وثبت نبي الله صلى الله عليه وسلم حين انكشفوا عنه). فذلك إذ يدعوهم الرسول في أخراهم، فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم

غير اثني عشر رجلاً، قال البراء: فأصابوا منا سبعين، وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة: سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً، (وهم يظنون: أنهم أصابوا النبي صلى الله عليه وسلم وأشرف أصحابه فقال أبو سفيان يفتخر بأهته) أي القوم محمد؟ ثلاث مرات: فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم: أن يجيبوه، ثم قال: أي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاث مرات، ثم قال: أي القوم ابن الخطاب؟ ثلاث مرات، ثم رجع إلى أصحابه: فقال: أما هؤلاء، فقد قتلوا، فما ملك عمر نفسه، فقال: كذبت والله يا عدو الله، إن الذين عددت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوءك، قال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال: فقال عمر: لا سواء، قتلنا في الجنة، وقتلكم في النار، قال: إنكم لتزعمون ذلك، لقد خينا اذن وخسرنا، ثم قال أبو سفيان: إنكم ستجدون في القوم مثله، ثم أمر بها ولم تسؤني، (وفي رواية أحمد: ولم يكن ذاك عن رأي سراتنا، قال: ثم أدركته حمية الجاهلية، قال: فقال: أما إنه قد كان ذاك، ولم نكرهه) ثم أخذ يرتجز: أعل هبل، أعل هبل، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا تجيبوا له"، قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: "قولوا: الله أعلى وأجل"، قال: إن لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا تجيبوا له"، قال: قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: "قولوا الله مولانا، ولا مولى لكم".

واستشهد يومئذ من المسلمين نحو السبعين، منهم حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر سبحانه هذه الواقعة في سورة آل عمران حيث يقول: «وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم، الآيات... إلى قوله: **مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْطِيَكَ عَلَىٰ الْكُفْرِ وَالْكُفْرَانِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ نِعْمَتِهِ**، **فَاتَّبِعُوا اللَّهَ وَاتَّبِعُوا رُؤُسَهُ**، **وَاتَّقُوا اللَّهَ أَلَّا تَكُونُوا مِنَ الْمُكْذِبِينَ**» (آل عمران: ١٧٩) (الفصول في السيرة: ١٥٠).

وهذا السياق فيه فوائد:

منها: أن خطة النبي صلى الله عليه وسلم كانت خطة حكيمة ودقيقة جداً، تتجلى فيها عبقرية الرسول-صلى الله عليه وسلم- العسكرية، فقد احتل رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أفضل موضع من ميدان المعركة، مع أنه نزل فيه بعد العدو: فقد حمى ظهره، ويمينه بارتفاعات جبل أحد، وحمى ميسرته وظهره. (الرحيق المختوم ٢٥٦).

ومنها: تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية، وشوم ارتكاب النهي لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم الرسول أن لا يبرحوا منه.

ومنها: أن عادة الرسل أن تبنتلى، وتكون لها العاقبة، والحكمة في ذلك أنهم لو انتصروا دائماً دخل في المؤمنين من ليس منهم، ولم يتميز الصادق من غيره، ولو انكسروا دائماً لم يحصل المقصود من البعثة: فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين: لتتميز الصادق من الكاذب، وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفياً عن المسلمين فلما جرت هذه القصة، وأظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل، والقول عاد التلويح تصريحاً، وعرف المسلمون أن لهم عدواً في دورهم: فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم.

ومنها: أن في تأخير النصر في بعض المواطن هضماً للنفس، وكسراً لشماختها فلما ابتلى المؤمنون صبروا، وجزع المنافقون.

ومنها: أن الله هبياً لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلفها أعمالهم: فقيض لهم أسباب الابتلاء، والمحن: ليصلوا إليها.

ومنها: أن الشهادة من أعلى مراتب الأولياء فساقها إليهم.

ومنها: أنه أراد إهلاك أعدائه: فقيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها ذلك: من كفرهم، وبغيبهم، وطغيانهم في أذى أوليائه: فمحص بذلك ذنوب المؤمنين، ومحق بذلك الكافرين. (فتح الباري: ٣٤٧/٧).

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

# الحياء تاج الأخلاق

إعداد: الشيخ / صلاح نجيب الدق  
فرع اليمن

والدم وصورتهم الظاهرة، كما أنه ليس معه من الخير شيء، ولولا هذا الخلق لم يقر الضيف ولم يوف بالوعد ولم يؤد أمانة ولم يقض لأحد حاجة ولا تحرى الرجل الجميل فأثره والقبیح فتجنبه ولا ستر له عورة ولا امتنع من فاحشة، وكثير من الناس لولا الحياء الذي فيه لم يؤد شيئاً من الأمور المفترضة عليه، ولم يرع لمخلوق حقاً ولم يصل له رحماً ولا برّ له والداً، فإن أبايعت على هذه الأفعال، إمام ديني وهو رجاء عاقبتها الحميدة، وإماماً دنيوي علوي، وهو حياء فاعلها من الخلق قد تبين أنه لولا الحياء إمام من الخالق أو من الخلاق لم يفعلها صاحبها. (مفتاح دارالسعادة- لابن القيم- ص: ٢٧٧).

## الحياء من صفات الله تعالى

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال: قال

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد؛ فالحياء تاج الأخلاق الإسلامية، وهو مفتاح لكل خير. ولزيد من التوضيح عن الحياء وفضله وأثره، أقول وبالله تعالى التوفيق:

## تعريف الحياء

الحياء؛ هو خلق ينبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق. (رياض الصالحين- للنووي- ص ٢٣٥).

## منزلة الحياء

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: خلق الحياء الذي اختص الله تعالى به الإنسان دون جميع الحيوان، من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدراً وأكثرها نفعاً، بل هو خاصة الإنسانية، فمن لا حياء فيه، ليس معه من الإنسانية إلا اللحم



رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ رَيْكُم تَبَارَكَ  
وَتَعَالَى حَيِّي كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مَنْ عَبْدُهُ إِذَا رَفَعَ  
يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَزِدَهُمَا صَفْرًا". (صحيح أبي داود-  
للألباني: ١٣٢٠).

فائدة مهمة: الله تعالى يُوصَفُ بِالْحَيَاءِ الَّذِي  
يَلِيْقُ بِهِ سُبْحَانَهُ بِغَيْرِ تَشْبِيهِ، وَلَا تَمْثِيلٍ، وَلَا  
تَحْرِيفٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ.

#### الله تعالى يحب المؤمن المتصنف بالحياء

عَنْ أَشَجَّ عَبْدِ الْقَيْسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ  
لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ فَيْكَ لَخَلْقَيْنِ  
يُحِبُّهُمَا اللَّهُ، قُلْتُ: وَمَا هُمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:  
الْحَلِمُ وَالْحَيَاءُ. قُلْتُ: قَدِيمًا كَانَ أَوْ حَدِيثًا؟ قَالَ:  
قَدِيمًا. قُلْتُ: الرَّحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلْقَيْنِ  
أَحْبَبَهُمَا اللَّهُ. (صحيح الأدب المفرد- للألباني-  
حديث: ٤٥٥).

#### الحياء من الإيمان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً،  
وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ. (صحيح البخاري: ٩،  
وصحيح مسلم: ٣٥).

قَوْلُهُ: (وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ): قَالَ الْإِمَامُ  
الرَّحْمَدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيُّ أَنَّ الْحَيَاءَ يَقْطَعُ  
صَاحِبُهُ عَنِ الْمَعَاصِي وَيُحْجِزُهُ عَنْهَا، فَصَارَ بِذَلِكَ  
مِنَ الْإِيمَانِ: إِذِ الْإِيمَانُ يَنْقَسِمُ إِلَى الْإِيمَانِ لَمَّا أَمَرَ  
اللَّهُ بِهِ، وَأَنْتَهَاءُ عَمَّا نَهَى عَنْهُ. (معالم السنن  
للخطابي ج٤ ص٣١٢).

#### الحياء من الملائكة

يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَسْتَشْعِرَ بِالْحَيَاءِ بِوُجُودِ  
الْمَلَائِكَةِ مَعَهُ، وَأَنْهُمْ يَرُونَهُ وَيُرَاقِبُونَهُ فِي كُلِّ  
أَوْقَاتِهِ، إِلَّا عِنْدَ ذَهَابِهِ إِلَى الْغَائِطِ أَوْ عِنْدَمَا  
يُجَامِعُ زَوْجَتَهُ، وَأَنْهُمْ يَكْتُبُونَ أَقْوَالَهُ وَأَفْعَالَهُ.  
قَالَ تَعَالَى: (إِنَّ مَحْسُورِينَ آتَا لَا تَسْمَعُ لِرَيْحِهِمْ وَخَجَرْتُهُمْ

بَلَى وَرُسُلًا لَدَيْهِمْ يَكْفُرُونَ) (الزخرف: ٨٠)، وَقَالَ  
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (وَأُولَئِكَ لَكُمْ لِحْمِطِينَ ﴿١٥﴾ كِرَامًا كَثِيرِينَ  
﴿١٦﴾ يَعْمَلُونَ مَا تَغْتَابُونَ) (الانفطار: ١٠: ١٢).

#### الحياء مفتاح لكل خير

عَنْ عُمَرَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ  
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا  
بِخَيْرٍ. (صحيح البخاري: ٦١١٧، وصحيح مسلم:  
٣٧).

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ بَطَّالٍ (رَحِمَهُ اللَّهُ): مِنْ اسْتَحْيَا  
مِنَ النَّاسِ أَنْ يَرُوهُ يَأْتِي الضُّجُورَ وَيُرْتَكِبُ الْمُحَارِمَ،  
فَذَلِكَ دَاعِيَةٌ لَهُ إِلَى أَنْ يَكُونَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ رَبِّهِ  
وَخَالِقِهِ، وَمَنْ اسْتَحْيَا مِنْ رَبِّهِ فَإِنَّ حَيَاءَهُ زَاجِرٌ  
لَهُ عَنِ تَضْيِيعِ فَرَائِضِهِ وَرُكُوبِ مَعَاصِيهِ: لِأَنَّ كُلَّ  
ذِي فِطْرَةٍ صَاحِبِهَا يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى النَّافِعُ لَهُ  
وَالضَّارُّ وَالرَّزَاقُ وَالْمُحْيِي وَالْمُمِيتُ، فَإِذَا عَلِمَ ذَلِكَ  
فَيَتَبَغَّى لَهُ أَنْ يَسْتَحْيِيَ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ. (شرح  
البخاري- لابن بطال- ج٩- ص٢٩٨).

#### الحياء هو الحياة

قَالَ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْحَيَاءُ أَصْلُهُ  
مِنَ الْحَيَاةِ فَإِذَا حَيَا الْقَلْبُ بِاللَّهِ اسْتَحْيَى، وَكَلِمَا  
أَزْدَادَ حَيَاةً بِاللَّهِ، أَزْدَادَ حَيَاءً مِنْهُ، أَلَا تَرَى أَنَّ  
الْمُسْتَحْيِيَ يَغْرُقُ فِي وَقْتِ الْحَيَاءِ: فَعَرْفُهُ مِنْ حَرَارَةِ  
الْحَيَاةِ الَّتِي هَاجَتْ مِنَ الرُّوحِ فَمِنْ هَيْجَانِهِ تَفُورُ  
مِنْهُ الرُّوحُ فَيَغْرُقُ مِنْهُ الْجَسَدُ وَيَغْرُقُ مِنْهُ أَعْلَاهُ:  
لِأَنَّ سُلْطَانَ الْحَيَاءِ فِي الْوَجْهِ وَالصَّدْرِ. (نوادير  
الأصول- للحكيم الترمذي- ج٦- ص١٧٩).

#### الحياء زينة الأخلاق

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا  
زَانَهُ، وَلَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ. (صحيح  
الأدب المفرد- للألباني: ٦٠١).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ



رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خَلْقًا، وَخَلَقَ الْإِسْلَامَ الْحَيَاءَ. (حديث حسن) (صحيح ابن ماجه- للألباني: ٣٣٧٠).

**نبينا صلى الله عليه وسلم يحافظ على حياء الفتاة البكر**  
عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْبِكْرُ تَسْتَأْذِنُ. قُلْتُ: إِنَّ الْبِكْرَ تَسْتَحْيِي؟ قَالَ: إِذْنُهَا صُمَاتُهَا. (صحيح البخاري: ٦٩٧١).

هكذا يحفظ نبينا صلى الله عليه وسلم، لكل فتاة حياءها، ويجنبها مشقة الموافقة على الزواج صراحة. ويبين أن الاكتفاء بصمتها دليل على رضاها.

### الحياء يمنع الوقوع في الشبهات

أفضل درجات الحياء أن يتجنب المسلم الشبهات استحياء من الله تعالى، ومخافة أن يؤدي ذلك إلى وقوع المسلم في الأمور التي حرمها الله؛ فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ. فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ. كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الرَّحْمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حَمَى، أَلَا وَإِنَّ حَمَى اللَّهِ مُحَارَمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مَضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ. (مسلم: ١٥٩٩).

### الحياء لا يمنع من الاعتراف بالخطأ

قال أحمد بن الحسن بن زياد اللؤلؤي أن أباه الحسن بن زياد استفتي في مسألة فأخطأ، فلم يعرف الذي أفتاه، فأجر منادياً فنادى: إن الحسن بن زياد استفتي يوم كذا وكذا في مسألة فأخطأ، فمن كان أفتاه الحسن بن زياد بشيء فليرجع إليه. قال فمكث أياماً لا يفتي حتى وجد صاحب

الْفَتْوَى فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ أَخْطَأَ وَأَنَّ الصَّوَابَ كَذَا وَكَذَا. (أخبار أبي حنيفة- الصيمري- ص ١٣٥).

أفتى الشيخ عز الدين بن عبد السلام-رحمه الله- مرة بشيء ثم ظهر له أنه خطأ فنادى في بعض البلاد على نفسه: من أفتى له فلان بكذا فلا يعمل به فإنه خطأ. (طبقات الشافعية- للسبكي- ج٨- ص ٢١٤).

### الحياء لا يمنع طلب العلم

عن أم سلمة، رضي الله عنها: أن أم سليم قالت: يا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِي مِنَ الرَّحَقِّ، هَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ غَسْلٌ إِذَا اخْتَلَمَتْ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ. فَضَحِكَتْ أُمُّ سَلَمَةَ، فَقَالَتْ: أَنْتَلِمُ الْمَرْأَةَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فِيمَ شَبِهَ الْوَلَدِ. (صحيح البخاري: ٦٠٩١).

### أقوال السلف الصالح في الحياء

(١) قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ. (مكارم الأخلاق- لابن أبي الدنيا- ص ٤٠٠).

(٢) قَالَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ هَلَاكٍ نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ، فَإِذَا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا مَقِيَّتًا مُمَقَّتًا. (مكارم الأخلاق- لابن أبي الدنيا- ص ٤٤٤).

(٣) قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَسْتَحِي مِنَ النَّاسِ. (أدب الدنيا والدين- للماوردي- ص ٢٤٩).

(٤) قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ (رَحِمَهُ اللَّهُ): الْحَيَاءُ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ. (مكارم الأخلاق- لابن أبي الدنيا- ص ٣٨٠).

(٥) قَالَ سَفِيَّانُ بْنُ عُيَيْنَةَ (رَحِمَهُ اللَّهُ): إِنَّ الْحَيَاءَ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنَ ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي. (شرح الزرقاني على موطأ مالك- ج ٤- ص ٤٠٦).

### نبينا صلى الله عليه وسلم هو القدوة في الحياء

عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن امرأة جاءت

صلاحه مطمع. والحياء مشتق من الحياة. والغيث يسمى حيا لأن به حياة الأرض والنبات والدواب، وكذلك سميت بالحياء حياة الدنيا والآخرة. فمن لا حياء فيه فهو ميت في الدنيا شقي في الآخرة. وبين الذنوب وبين قلة الحياء وعدم الغيرة تلازم من الطرفين. وكل منهما يستدعي الآخر ويطلبه حثيثا. ومن استحى من الله عند مَعْصِيَتِهِ. استحى الله من عقوبته يوم يلقاه. ومن لم يستح من مَعْصِيَتِهِ لم يستح الله من عقوبته. (الداء والدواء- لابن القيم- ص ٦٨-٦٩).

### مظاهر مخالفة للحياء

سوف نذكر بعض المظاهر التي تخالف الحياء والمنتشرة بصورة كبيرة في المجتمع.

#### (١) المجاهرة بالمعاصي أمام الناس

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: كل أمتي معافى إلا المجاهرين وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه. (صحيح البخاري: ٦٠٦٩، وصحيح مسلم: ٢٩٩٠).

#### (٢) الكلام بالألفاظ السيئة التي تخدش الحياء:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء. (صحيح سنن الترمذي- للألباني: ١٦١٠).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

النبي صلى الله عليه وسلم، ببردة متسوجة، فيها حاشيتها، أتدرون ما البردة؟ قالوا: الشملة. قال: نعم. قالت: نسجتها بيدي فجئت لأكسوكها، فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم، محتاجا إليها، فخرج إلينا وإنها إزاره. فحسنتها فلان، فقال: اكسنيها، ما أحسنها! قال القوم: ما أحسنت، لبسها النبي صلى الله عليه وسلم، محتاجا إليها، ثم سألته. وعلمت أنه لا يرد-سانلا-. قال: إني والله، ما سألته لألبسه، إنما سألته لتكون كفتي، قال سهل: فكانت كفته. (صحيح البخاري: ١٢٧٧).

وعن عائشة رضي الله عنها، أن امرأة من الأنصار قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: كيف اغتسل من الحيض؟ قال: خذي فرصة ممسكة، فتوضئي ثلاثا. ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم استحيا، فأعرض بوجهه. أو قال: توضئي بها. فأخذتها فجدبتتها، فأخبرتها بما يريد النبي صلى الله عليه وسلم. (صحيح البخاري: ٣١٥، وصحيح مسلم: ٣٣٢).

### المعاصي تمحو الحياء من النفوس

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: من عقوبات المعاصي: ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلب، وهو أصل كل خير، وذهابه ذهاب الخير أجمعه. وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الحياء خير كله). والذنوب تضعف الحياء من العبد، حتى ربما انسلخ منه بالكلية، حتى إنه ربما لا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله ولا باطلاعهم عليه، بل كثير منهم يخبر عن حاله وقبح ما يفعل، والجاهل له على ذلك انسلخه من الحياء، وإذا وصل العبد إلى هذه الحالة لم يبق في

# إلهاب الحماس للتنافس في قضاء حوائج الناس

اعداد المستشار أحمد السيد علي إبراهيم  
قائب رئيس هيئة قضايا الدولة

الضرورة. والمراد به: الانسان الذي نزلت به شدة من الشدائد. جعلته يرفع أكف الضراعة إلى الله- تبارك وتعالى- لكي يكشفها عنه.

أي: وقولوا لنا- أيها المشركون-: من الذين يجيب دعوة الداعي المكروب الذي نزلت به المصائب والرزايا؟ ومن الذي يكشف عنه وعن غيره السوء والبلاء؟ إنه الله وحده. هو الذي يجيب دعاء من التجأ إليه، وهو وحده- سبحانه- الذي يكشف السوء عن عباده، على حسب ما تقتضيه إرادته وحكمته.

وقولوا لنا - أيضاً:- من الذي «يَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ» أي: من الذي يجعلكم يخلف بعضكم بعضاً. قرناً بعد قرن. وجيلاً بعد جيل «اللَّهُ مَعَ اللَّهِ» هو الذي فعل ذلك. كلا، بل الله وحده- عز وجل- هو الذي يجيب المضطر، وهو الذي يكشف السوء، وهو الذي يجعلكم خلفاء الأرض. ولكنكم «قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ» أي: ولكنكم زماناً قليلاً هو الذي تتذكرون فيه نعم الله- تبارك وتعالى - عليكم.

الحمد لله حمداً لا يتفد، أفضل ما ينبغي أن يُحمد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعه.

وبعد: فإن من أجل العبادات: السعي لقضاء حوائج الناس، وتفريج كرباتهم.

ولقضاء حوائج الناس فضائل عدة، منها:

الفضيلة الأولى: قضاء حوائج الناس من صفات رب العالمين، التي حث عليها:

وهي من أعظم الفضائل: أن نفع الناس وكشف كرباتهم من صفات رب العالمين، امتدح بها نفسه فقال: «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَّرَّ إِذَا نَعَىٰ وَيَكْفِي السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ» (النمل: ٦٢).

قال الدكتور محمد سيد طنطاوي في تفسيره "الوسيط": «ثم تنتقل السورة- للمرة الثالثة- إلى لفت أنظارهم إلى الحقيقة التي هم يحسونها في خاصة أنفسهم، وفي حنايا قلوبهم فتقول: «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَّرَّ إِذَا دَعَا وَيَكْفِي السُّوءَ» والمضطر: اسم مفعول من الاضطرار الذي هو افتعال من

ورحمته بكم.

وختتم- سبحانه- هذه الآية بتلك الجملة الحكيمة. لأن الإنسان من شأنه- إلا من عصم الله- أنه يذكر الله- تبارك وتعالى- عند الشدائد، وينسأه عند الرخاء- وصدق الله إذ يقول: ﴿وَإِنَّا لَنَمُنُّ بِالْإِنسَانِ أَعْرَضٌ وَنَنَا بِجَانِبِهِ وَإِنَّا لَمَنَّهُ لَأَشَرُّ قَدَرٍ دُعَاوٍ عَرِيضٍ﴾ (فصلت: ٥١) اهـ.

ولأنها من صفات الله فقد حث على فعل الخير، وقضاء حوائج عباده، فقال تعالى: ﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج: ٧٧). فقضاء حوائج الناس المشروعة من أفضل وسائل فعل الخير.

الفضيلة الثانية: قضاء حوائج الناس من هدى الأنبياء والمرسلين:

ولأن قضاء حوائج الناس من أجل العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه، فلا عجب أن يكون أنبياء الله ورسله في طبيعة أقوامهم في قضاء حوائجهم، وهذه أمثلة تؤيد ذلك:

١- موسى عليه السلام:

نبي الله ورسوله موسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل، ولم يتوان للحظة واحدة في المبادرة إلى قضاء حوائج الناس، طلبوا ذلك منه، أو لم يطلبوها، وليس أدل على ذلك من الآتي:

أ - قضاء الحوائج بطلب من الناس:

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَلَبَتْ فِيهَا جُنُودٌ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَنْتَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ وَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالًا هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ (القصص: ١٥).

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره: «فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته والمعنى: إذا نظر إليهما الناظر قال هذا من شيعته: أي من بني إسرائيل، وهذا من عدوه أي من قوم هرعون فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه أي

طلب نصره وغوته، وكذا قال في الآية بعدها: فإذا الذي استنصره بالأمس يستنصره أي يستغيث به على قبطني آخر، وإنما أغاثه لأن نصر المظلوم دين في الملل كلها على الأمم، وفرض في جميع الشرائع... اهـ.

ب - قضاء الحوائج بغير طلب من الناس:

قال تعالى: ﴿فَرَجَّ بِهَا حَاقِبًا يَرْقُبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ وَلَمَّا نَزَّ بِقَاعَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٥٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِم امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِّقَ الرِّجَاءَ وَأُورَثَنَا شَيْحًا كَبِيرًا ﴿٥٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (القصص: ٢١ - ٢٤).

قال ابن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير": «ومعنى "فسقى لهما" أنه سقى ما جنن ليسقينه لأجلهما، فإللام لأجل، أي لا يدفعه لذلك إلا هما، أي رافة بهما وغوئا لهما. وذلك من قوة مروءته أن اقتحم ذلك العمل الشاق على ما هو عليه من الإغياء عند الوُصول، اهـ.

لما بادر موسى عليه السلام بقضاء حاجة المرأتين، كافاه الله على حُسن صنيعه، فالجزء من جنس العمل، قال تعالى: ﴿لَمَّا تَدَارَكَا قَبَلَ عَلَيْهِمَا شَيْحٌ عَلَىٰ اسْتِجَابٍ قَالَتْ لِمَكَ أَتَىٰ بِعَدُوِّكَ لِنَجْرِكَ أَعْرَجَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَضَىٰ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ حَمَّاتٌ مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٥٤﴾ قَالَتْ لِمَ تَدْعُوهُمَا بِأَنَّ اسْتَنْجَرَهُ لِمَكَ حَبْرٌ مَنِ اسْتَنْجَرْتَ الْقَوْمَ الْأَمِيْنَ ﴿٥٥﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَكْمَلَكَ إِحْدَىٰ ابْنَتَيْ هُنَيْنٍ عَلَيَّ أَنْ تَأْخُرَنِي تَمْسِي حَجَّجَ فَإِنْ أَمْسَتْ عَشْرًا قِمْنَ عِنْدَكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (القصص: ٢٥ - ٢٧). فكانت نتيجة قضاء حاجتهما، وكشف كرياتهما، أماناً بعد الخوف، ورزقاً بعد الفقر، وزوجة بعد العزوبة، هذا جزاء في الدنيا حصل عليه نبي الله موسى عليه السلام، فكيف بجزء الآخرة؟

٢- يوسف عليه السلام:

كان يوسف عليه السلام من المحسنين، يقضى حوائج الناس داخل السجن، وخارجه.

أ- إحسان يوسف داخل السجن:

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَنَّهُ لَيْثٌ مُنْتَهَىٰ قَالَ اسْفُهْمَا إِلَىٰ رَبِّي أَنصُرْ خَيْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي لَأَنْصِلُ نَوْءَ رَبِّي نَبْرًا نَأْتِي الْغَبْرَ مِنْهُ نَبْتًا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَنْهَكَ مِنَ الْفَحْشَاءِ﴾ (يوسف: ٣٦)

قال الطبري- رحمه الله- في تفسيره " جامع البيان عن تأويل آي القرآن "، وقوله: (إنا نراك من المحسنين) اختلف أهل التأويل في معنى "الإحسان" الذي وصف به الضيآن يوسف.

فقال بعضهم: هو أنه كان يعود مريضهم. ويعزي حزينهم، وإذا احتاج منهم إنسان جمع له.

ذكر من قال ذلك: حدثنا الحسن بن محمد، قال: حدثنا سعيد بن منصور، قال: حدثنا خلف بن خليفة، عن سلمة بن نبيط، عن الضحاك بن مزاحم، قال: كنت جالسًا معه ببلخ، فسئل عن قوله: (نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين)، قال: قيل له: ما كان إحسان يوسف؟ قال: كان إذا مرض إنسان قام عليه، وإذا احتاج جمع له، وإذا ضاق أوسع له...

فإن قال قائل: وما وجه الكلام إن كان الأمر إذن كما قلت، وقد علمت أن مسألتهما يوسف أن ينبتهما بتأويل رؤياهما، ليست من الخبر عن صفته بأنه يعود المريض ويقوم عليه، ويحسن إلى من احتاج في شيء، وإنما يقال للرجل: "نبئنا بتأويل هذا فإنك عالم"، وهذا من المواضع التي تحسن بالوصف بالعلم، لا بغيره؟

قيل: إن وجه ذلك أنهم قالوا له: نبئنا بتأويل رؤيانا محسنًا إلينا في إخبارك إيانا بذلك، كما نراك تحسن في سائر أفعالك: (إنا نراك من المحسنين) اهـ.

ب- إحسان يوسف خارج السجن:

انظر- أخي القارئ الكريم- إلى ما فعله إخوة يوسف معه: حيث اتهموه بالسرقة، ووضعوه في الحب، ومع ذلك قضى حاجتهم لما جاؤوا إليه متسولين يقولون: ﴿مَتَىٰ نَأْتِيكَ يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ﴾ (يوسف: ٨٨)، فعفا عنهم، ولا تأتيناك (يوسف: ٩٢)، وقضى حاجتهم، وجهزهم بجهازهم.

٣- رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم:

وسيد ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم جمع المروءة كلها، وكان يبادر إلى قضاء حوائج الناس، حتى صار ذلك وصفه وسمته، وليس أدل على ذلك من الآتي:

أ- قول أمنا خديجة رضي الله عنها: «أبشر، فوالله لا يُحزبك الله أبدًا؛ إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق...» (رواد البخاري).

ب- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا قط، فقال: لا، (متفق عليه).

جاء بموقع "الدرر السنوية - الموسوعة الحديثية" على الشبكة العنكبوتية: «كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقًا، وأجودهم وأكرمهم، وكان يبذل أمواله فيما يقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

وفي هذا الحديث يُخبر جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما طلب منه شيء من متاع الدنيا، وغيرها مما يستطيع في أي وقت تقديمه، فقال: لا؛ فإما أن يُعطي ما يُطلب منه إن كان عنده، وإلا سكت، أو اعتذر ودعا، أو وعد أن يقضي حاجة السائل عند توفرها، والحاصل أنه صلى الله عليه وسلم كان لا

يَرُدُّ سَائِلًا بَدُونَ عَذْرِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ لَمْ يَنْطِقْ كَلِمَةً، لَا قَطُّ فِي حَالَةِ الْعَذْرِ وَالْعُسْرِ. وَقَدْ وَرَدَ فِي الصَّحِيحِينَ أَنَّهُ لَمَّا جَاءَهُ نَصْرٌ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ يَطْلُبُونَ مِنْهُ دَوَابَّ لِتَحْمَلَهُمْ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاللَّهِ لَا أَحْمَلُكُمْ، وَمَا عِنْدِي مَا أَحْمَلُكُمْ».

وَوَجْهُ الْجَمْعِ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ: أَنَّ يَخْصُ مِنْ عُمُومِ حَدِيثِ جَابِرٍ بِمَا إِذَا سُئِلَ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ، وَالسَّائِلُ يَتَحَقَّقُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ ذَلِكَ، أَوْ حَيْثُ كَانَ الْمَقَامُ لَا يَقْتَضِي الْأَقْتِصَارَ عَلَى السُّكُوتِ مِنَ الْحَالَةِ الْوَاقِعَةِ، أَوْ مِنْ حَالِ السَّائِلِ: كَأَن يَكُونَ لَمْ يَعْرِفِ الْعَادَةَ، فَلَوْ اقْتَصَرَ فِي جَوَابِهِ عَلَى السُّكُوتِ مَعَ حَاجَةِ السَّائِلِ لِتِمَادِي فِي السُّؤَالِ مِثْلًا، وَيَكُونُ الْقَسَمُ عَلَى ذَلِكَ تَأْكِيدًا لِقَطْعِ طَمَعِ السَّائِلِ. وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ كَرَمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحُسْنُ خُلُقِهِ، اهـ.

ج- عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «إِنْ كَانَتْ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، لَتَأْخُذَ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنْطَلِقَ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ» (رواه البخاري).

جاء بموقع " الدرر السنية - الموسوعة الحديثية " على الشبكة العنكبوتية: «فِي هَذَا الْحَدِيثِ يَرُوي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ الْأُمَّةَ - وَهِيَ غَيْرُ الْحُرَّةِ - مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، كَانَتْ لَتَأْخُذَ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَنْطَلِقَ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ مِنَ الْأَمْكِنَةِ، وَلَوْ كَانَتْ حَاجَتُهَا خَارِجَ الْمَدِينَةِ، وَالْمَقْصُودُ مِنَ الْأَخْذِ بِيَدِهِ لَازِمُهُ، وَهُوَ الرِّفْقُ وَالانْقِيَادُ، يَعْنِي: كَانَ خُلُقُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِذِهِ الْمُرْتَبَةِ مِنَ الرَّفْعَةِ وَالتَّوَاضُعِ، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ لِأُمَّةٍ حَاجَةٌ فِي بَعْضِ مَوَاضِعِ الْمَدِينَةِ، وَتَلْتَمَسُ مِنْهُ مَسَاعِدَتَهَا فِي تِلْكَ الْحَاجَةِ، وَاحْتِاجَ بَأَن يَمْشِيَ

مَعَهَا لِقَضَائِهَا: لَمَّا تَخَلَّفَ عَنْ ذَلِكَ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهَا. وَفِي الْحَدِيثِ: عَظِيمٌ تَوَاضَعُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِرَاءَتُهُ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْكِبَرِ، اهـ.

د - قال ابن كثير رحمه الله في "البداية والنهاية": «وهذا رجل من إراش له حق عند أبي جهل يماطل به، فجاء شاكياً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاء بيت أبي جهل، فضرب عليه بابيه، فقال: من هذا؟ قال: محمد، فاخرج إلي، فخرج إليه وما في وجهه من رائحة، قد انتقع لونه، فقال: أعط هذا الرجل حقه، قال: نعم، لا تبرح حتى أعطيه الذي له، قال: فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه، قال: ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال للإراشي: الحق بشأنك، فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك المجلس لقريش، فقال: جزاه الله خيراً، فقد والله أخذ لي حقي، قال: ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء فقالوا له: ويملك ما لك؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قط، قال: ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب علي بابي، وسمعت صوته فمُلِئْتُ رعباً، ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لُخْلُلاً مِنَ الْإِبِلِ، مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَامَتِهِ وَلَا قِصْرَتِهِ وَلَا أَنْيَابَهُ فَحَلَّأَ قَطُّ، وَاللَّهُ لَوْ أَبَيْتُ لِأَكْلَنِي، اهـ. (عن ابن اسحاق بإسناد مرسل).

وذكرنا لهدى أولئك الأنبياء والمرسلين ليقنتي المسلم بهم في المبادرة إلى قضاء حوائج الناس، وقد حث الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك، فقال تعالى: «**أَنْبِيَاءَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ يَهْدِيهِمْ**» (الأنعام: ٩٠).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



### من هدي الرسول

#### انحث على تقوية أواصر الأخوة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث. ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً".

(صحيح مسلم)



### مع ثمر كتاب الله

#### من أسس التوحيد:

#### إخلاص العبادة لله

قال الله تعالى: «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حَقَّاهُ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ» (البينة: ٥)

## واحة التوحيد

### من فضائل الصحابة

عن بسام الصيرفي، قال: سألت أبا جعفر الصادق عن أبي بكر وعمر، فقال: والله إني لأتولاهما، وأستغفر لهما، وما أدركت أحداً من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما.

(سير أعلام النبلاء)

### حكم ومواعظ

قال الحسن البصري: "عجباً لمن خاف العقاب ولم يكف، ولمن رجا الثواب ولم يعمل".

(العقد الفريد)

### فضل طلب العلم

عن أبي العالية قال: كنت أتني ابن عباس فيرفعني على السرير، وقريش أسفل من السرير، فتغامزت بي قريش، وقالوا: يرفع هذا العبد على السرير، ففطن بهم ابن عباس، فقال: إن هذا العلم يزيد الشريف شرفاً، ويجلس المملوك على الأسرة. (تهذيب الكمال)

### أحاديث باظلة لها آثار سيئة

(من صافح يهودياً أو نصرانياً؛ فليتوضأ أو يغسل يده)؛ باطل. وأخطأ من قال: لا يحل الشرب من أوانيهم، ولا مؤاكلتهم، ولا لبس ثيابهم، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم والسلف خلفه.

(السلسلة الضعيفة).

## مع تفسير الأسماء

المقصود بـ "التذكر"

قال تعالى: **إِنَّكَ لَأَنْتَ الَّذِي أَنْتَقَرْنَا وَإِنَّا مِنكُم مَّبْتُورُونَ** (الأعراف: ٢٠١). فالتذكر يُورث البصيرة، والمقصود به هنا- كما يقول ابن كثير- أنهم تذكروا عقاب الله وجزيل ثوابه، ووعده ووعيده، فتأبوا وأنابوا، واستعاذوا بالله، ورجعوا إليه من قريب. (تفسير ابن كثير).

## من دلائل النبوة

**إخبار النبي ﷺ عن فتح مصر**

عن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فاستوصوا بأهلها خيراً؛ فإن لهم ذمةً ورحمةً. وإذا رأيت رجلين يختصمان في موضع لبنة فآخِرج منها. (صحيح مسلم).

## اعداد: علاء خضر

## من أقوال السلف

عن أبي حاتم قال: سمعت نعيم بن حماد يقول: من ترك حديثاً معروفاً (أي صحيحاً) فلم يعمل به، وأراد له علة أن يطرحه، فهو مبتدع. (الفقيه والمتفقه)

## مع دعاء الشيخ محمد بن سيرين

عن عبد الله بن عمر قال: كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم اني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك" (صحيح مسلم).

## من حكمة الشعر

**قال ابن قريع في القناعة:**

أرض من الدهر ما آتاك به  
من يرص يوماً بعيشه نفعه  
قد يجمع المال غير آكله  
ويأكل المال غير من جمعه  
(العقد الفريد)

## من علامات أهل البدع والضلال

عن عمر بن عبد العزيز قال: "إذا رأيت قوماً يتناجون في دينهم بشيء دون العامة؛ فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة". قلت: فليحذر طلاب العلم من دروس العلم والأشخاص غير المعروفين بالعلم في السر دون العلن. (أصول الاعتقاد).

# أحوال العباد في يوم التناد

مستخلص من الشيخ/رضا الغنيلي/ فرع تونس

(٦٨) وسَمِّي

النفخ في الصور

نداءً لأنه نفخة دعاء

يحييه كل الخلائق. ووصفه بالقرب

لأنه يُسمع جميع الخلق إشباع المنادي القريب

من المنادي. وفيه إشارة إلى سرعة حضور المنادين

حضور من أجاب مناديه من مكان قريب.

نداء العرض على رب السماوات والأرض:

قال تعالى: «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنْسٍ يَدْعُكَ فَهُمْ أَوْقَى

كَلِمَتِكَ يَسِيرَةً فَأَلْتَفِتْكَ يَرْجُونَ كَلِمَتَكَ أَذًا

يُطِئُونَ قَوْلًا أَتَى مِنْكَ وَفِيهِ أُنْسٌ لَهُمْ فِي

الْآخِرَةِ أُنْسٌ وَأَصْلُ سَيْبٍ» (الإسراء: ٧١-٧٢).

«بإمامهم» قيل: أي بنبيهم منسويين إليه فيقال:

يا أمة فلان، وقيل: بكتابهم الذي أنزل عليهم.

وقيل: بكتابهم الذي فيه أعمالهم.

وعلى كل فإن المعنى المشترك بين كل هذه

التفاسير لكلمة: «بإمامهم» الشهيد عليهم، سواء

أكان الرسول المبعوث إليهم كما قال تعالى في

الآية السابقة.

أو الكتاب المنزل عليهم فيقال: يا أهل كتاب كذا.

ويؤيد هذا المعنى قراءة الحسن: «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ

أُنْسٍ بِكُتَابِهِمْ» أي الكتاب الذي أحصى أعمالهم.

فيقال: يا أصحاب كتاب الخير الذين تلقوه

باليمين، ويا أصحاب كتاب الشر الذين تلقوه

بالشمال.

فهذا نداء العرض على رب السماوات والأرض.

وكل يعرض على ربه ومعهم الشهيد الذي لا ترد

شهادته ولا يكذب قوله... والشهود يومئذ كثير

«وَرَفَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلُوبُهُمْ أَتَرَفًا وَرُءُوسُهُمْ لَمَكِينًا

أَنْ يَخْبُرُوا بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» (القصص: ٢٥).

الحمد لله العز أهل الإيمان بالقبول. الذين

استجابوا لله والرسول. وأوردتهم دار السلام.

تحيتهم فيها سلام. وأصلى وأسلم على ليلة

التمام. وسبك الختام وسيد الأنام. وآله وصحبه

والتابعين بإحسان.

أما بعد: فإن الله عز وجل - قد سمي يوم القيامة

باسماء كثيرة في القرآن الكريم. كل اسم منها

يظهر جانباً مما يقع يوم القيامة من حوادث

وأحوال. وحرى بالنسب أن يتدبر تلك الأسماء وأن

يبحث في معانيها. ولعل هذا المقال يفعل ذلك في

اسم من أسماء يوم القيامة.

يوم التناد

قال مؤمن آل فرعون واعظاً قومه: «وَتَعْلَمُونَ أَنَّ

لَيْلَةَ عَيْتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (غافر: ٣٢). يعني: يوم

القيامة. وإنما سمي يوم القيامة بيوم التنادي:

لما يقع فيه من نداءات، وصيغة التفاعل في كلمة:

«التنادي» تدل على الكثرة والتنوع، فإن الخلق

يومئذ يتنادون، ونداءاتهم يومئذ متنوعة بما

سيحاول هذا المقال إيضاح بعضها، والله المستعان

وعليه التكلان.

نداء البعث:

إن أول ما يقع يوم القيامة من نداء: هو نداء

البعث. يقول عنه رب العالمين عز وجل: «وَأَنبِئْهُمْ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ تَكْوِينِهِمْ» (ق: ٤١).

المنادي: هو إسرافيل الذي ينفخ في الصور، وقيل:

إسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحرش. (تفسير

الكشاف للزمخشري: ٤/٣٩٣).

والمنادي: هي العظام الناخرة. والأوصال المتناثرة.

والأجسام البالية. والأكفان الخالية. والحطام

والرُفات، والتراب والفتات.

والنداء: إنما هو نفخه في الصور نفخة البعث

«وَنُفْثَةٌ فِي السَّمَاءِ تَنفِثُ مَنْ فِي السَّمَكِينِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا

مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُمْسِكُ بِرَبِّهَا فَمَا هُمْ بِبَاطِلِينَ يَنْظُرُونَ» (الزمر:



### نداء التوبع والتبكم.

قال تعالى: «يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيُّ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ يُزَعَّمُونَ» (القصص: ٦٢).

«يَوْمَ يُنَادِيهِمْ» أي: المشركين بدلالة السؤال عن الشركاء، وهو نداء تنخلع منه القلوب وتشخص الأبصار لجلالته وعظمته، يناديهم وهو غضبان غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، سائلاً سؤال توبيخ وتقريع: «يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيُّ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ» أنهم شركاء لله في ملكه وفي خلقه وفي عبادته.

وأما التبكم ففي استعمال اسم الاستفهام: «أين» الذي هو للسؤال عن المكان، وكأنه أفرهم على وجود الشركاء وعلى وصفهم بالشركاء لكن يسأل عن مكان وجودهم، ولا يخفى ما في ذلك من تهكم بالكفار وسخرية منهم ومن شركهم؛ إذ يرجع المشركون إلى أنفسهم بالخيبة والحسرة: «قَالُوا مَا نَأْمُرُهُمْ إِلَّا أَنفُسُهُمْ أَهُمْ كَانُوا كَبِيرِينَ» (الأعراف: ٣٧).

### نداء أهل النعيم على أصحاب الجحيم:

«وَالَّذِينَ أُسِفَتْ لِقَتُهُمْ نَارُ أَعْيُنِهِمْ مَا وَعَدُوا رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ يَهْتَدُونَ مَا وَعَدُوا رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ يَهْتَدُونَ لِقَتَهُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» (الأعراف: ٤٤).

نداء السعادة والنعيم - جعلنا الله وإياكم من أهله- إذ تزداد سعادة المؤمنين وفرحتهم يوم الدين بإظهار نعمة الله عليهم، وبرؤية شقاوة أهل النار.

### نداء العذاب والعدوان:

«وَيُنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَمْضُوا إِلَىٰ عَذَابِكُمْ إِنَّ لَكُمْ أُولِيًّا مِنْكُمْ عَلَىٰ أَن تَقُولُوا لَا مَرْجِعَ لَنَا إِلَىٰ رَبِّنَا فَأْتِنَا بِدَلِيلٍ مِنَ رَبِّنَا» (الأعراف: ٥٠)؛ وعلى النقيض من نداء السعادة والنعيم يأتي نداء الحسرة والإشقاء، «أَنْ أَيْضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ» فإننا نراه لديكم موفوراً، تجري به الأنهار وتتفجر به العيون تضجيراً؛ عينان تجريان،

وعينان نضاختان، ولا يضركم أن تفيضوا علينا منه، فلا ينقص منه إنفاقكم شيئاً، أو ممّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ، ففي الأشجار فاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة، أو ممّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ، من مساكن لا ترون فيها شمساً ولا زهريراً فقد امتحشت وجوهنا ونضجت جلودنا وصهر ما في بطوننا، وماؤنا حميم، وطعامنا زقوم وغسلين، ومرقدنا مهاد من جهنم وغواش من سجين... «قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ».

### نداء المثقلة بحملها:

«وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ» (فاطر: ١٨).

«وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» أي: لا تحمل حاملَةٌ حملَ أُخْرَى، والحمل يومئذ الذنوب، «وإن تدعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا» أي: وإن تنادي ثقيلة الحمل من الذنوب من يخفف عنها شيئاً من حملها، لا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ، وتأمل تنكير كلمة شيء الذي يفيد التقليل والتحقير: أي لا يحمل منه شيء ولو كان قليلاً، ولو كان المدعو «ذا قرْبَى»؛ ذكر القرطبي في تفسيره: قال الفضيل بن عياض: هي المرأة تلتقى ولدها فتقول: يا ولدي، ألم يكن بطني لك وعاء، ألم يكن شديي لك سقاء، ألم يكن حجري لك وطاء، يقول: بلى يا أمّاه، فتقول: يا بني، قد أثقلتني ذنوبي فاحمل عني منها ذنباً واحداً، فيقول: إليك عني يا أمّاه، فإني بذنبي عنك مشغول.

### نداء اليأس والقنوط:

«وَلَقَدْ يَمْنُنَ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (الزخرف: ٧٧).

«وَنَادُوا يَا مَالِكُ، وهو خازن النار- عياداً بك اللهم من هيئته-: لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ»؛ بالموت والهلاك فنستريح من العذاب، فيسكت عن جوابهم- فيما روي- ألف سنة، ثم يجيب بجواب هو قطعة من العذاب «قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُوثُونَ». نسأل الله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة.



# صلاح الأمة في علو الهمة

اعداد الشيخ / محمد صفوت نور الدين  
رحمه الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن تبعه على المنهج الصواب إلى يوم الدين. وبعد:

الهمة العالية هي الحياة التي من حُرم منها فهو من جملة الأموات، والنور الساطع الذي يسترشد به الغرباء في بحار ظلمات الدنيا، وهي الشفاء الذي من فقداه فقد أصابته جميع الأسقام. وبها تكون اللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام. الهمة العالية روح الأعمال والأحوال متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه، تحمل أُنقال السائرين إلى بلاد لم يكونوا بالغياها إلا بشق الأنفس، وترفعهم إلى منازل في الجنة لم يكونوا بدونها وأصلها ولا بالتجافي عنها مدركيها.

والقصد إليها درجة تنافس فيها المتنافسون. فأهل  
 علو الهمة مطلبهم الجنة: (كَلَّا إِذْ كُنْتَ الْعَزَّازِ لَقِي  
 عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَزْرُقُ مَا بَيْنَهُنَّ ﴿١٩﴾ كُنْتُ نَزَّوِيًّا ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ  
 الْمَقَرُّونَ ﴿٢١﴾ إِذْ الْأَزَّازِ لَقِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرْبَابِ بِقُرُونٍ ﴿٢٣﴾ تَرْوِي  
 فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مُنْحَمَرٍ ﴿٢٥﴾  
 حَتَّمَهُ بَشْرٌ ﴿٢٦﴾ وَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَفِتْنَةً لِلْمُتَّقِينَ) (المطففين: ١٨-٢٦).

الهمة العالية: درجة شُحِصَ إليها العباد والزهاد  
 والمجاهدون والعلماء والحكماء. وإليها شمر  
 السابقون من الأنبياء وأصحابهم،  
 ومن سار على منهجهم.  
 وفيها أنضق المنفقون  
 ومن وافقهم. فهي  
 قوت قلوب  
 السالكين  
 وغذاء أرواح  
 العارفين وقررة  
 عين المؤمنين  
 الموحدين.

الهمة العالية  
 تستمد من رب  
 العالمين الذي قال

للملائكة يوم بدر: (إِنِّي  
 مَعَكُمْ فَتَيِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ  
 الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّسُلَ) (الأنفال: ١٢). تستمد من  
 رب العالمين الذي أنزل في كتابه: (إِنَّا نُنزِّلُ الْفُرْقَانَ  
 نَضْرَةً لِقَوْمٍ لَذِينَ كَفَرُوا تَأْوِيلُ الْفُرْقَانِ إِذْ  
 هُمَا فِي الْعَارِ إِذْ يَسْأَلُونَ لِصَحْبِهِ لَا تُعْزِرُهُ إِنَّكَ  
 اللَّهُ مَنَّانٌ) (التوبة: ٤٠). تستمد من رب العالمين  
 حيث علمهم أن يقولوا: (رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا سُبْرَةَ  
 وَبَيِّنَاتٍ آيَاتِنَا وَأَنْزِلْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (البقرة: ٢٥٠).

وأصحاب الهمة العالية يعلمون أن الله الرافع

الهمة العالية عند المؤمنين روح تنبع من قوله  
 تعالى: (إِن يَكُ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ نَجْعَلْنَا مَا تُبَدِّلُونَ وَإِن  
 يَكُ مِنْكُمْ مِائَةٌ نَجْعَلْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ  
 قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) (الأنفال: ٦٥).

الهمة العالية عند المؤمنين تستمد من قوله  
 تعالى: (كَمْ مِنْ قَبِيْلَةٍ غَلَبَتْ قَوْمًا كَثِيْرَةً  
 يُؤْمِنُونَ إِنَّهُمْ بِآيَاتِنَا أَكْثَرُونَ) (البقرة: ٢٤٩). ذلك  
 بأنهم يؤمنون بالله القائل: (إِن نَشَأْ اللَّهُ يُضْهِرْكُمْ  
 وَيُنَجِّبْ لِقَائِكُمْ) (محمد: ٧). وأصحاب الهمة العالية

يؤمنون أنه في حال الضعف يكون

التخفيف لقوله تعالى: (الْقُرْآنُ

خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلَّمَ أَنَّ

يَكُ مِنْكُمْ صَعْقًا فَإِن يَكُ مِنْكُمْ

مِائَةٌ صَابِرَةٌ نَجْعَلْنَا مَا تُبَدِّلُونَ

وَإِن يَكُ مِنْكُمْ أَلْفٌ

يَعْلَمُونَ الْقُرْآنَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

وَاللَّهِ نِعْمَ الْخَبِيرِينَ) (الأنفال: ٦٦).

ففي حديث النبي

صلى الله عليه وآله

وصحبه وسلم: (أصدق

الأسماء: حارث وهمام)،

ذلك لأن لكل نفس في كل حال

(هما)، ولكن من الأنفس ما يكون همها

دنيء يرشدها إلى كل مردول ويعينها على الباطل  
 ويصرفها عن الهداية والصواب. ومن أمثلة ذلك  
 قوم لوط وفرعون. ومن الأنفس ما يكون همها  
 عال تطلب من الأمور معاليها وتجتنب أراذلها،  
 فتتقصد إلى المقامات السامية والدرجات الرفيعة،  
 تزكو بأعمالها وترتفع بأوقاتها، ورائد هذه  
 الطائفة هم الأنبياء ومن سار سيرهم، واهتدى  
 بهديهم، وحاديها في سيرها الجنة. وذكرها والقرب  
 من ربهم. والأنس إليه يوم لقائه، فالهمة العالية





## فضل اتباع الجنائز

عَنْ يَزِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُسَيْطٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُ: أَنَّ دَاوُدَ بْنَ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ حَدَّثَهُ أَنَّهُ كَانَ قَاعِدًا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ إِذْ طَلَعَ حَبَابٌ صَاحِبُ الْمُقْصُورَةِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ خَرَجَ مَعَ جَنَازَةٍ مِنْ بَيْتِهَا وَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ تَبِعَهَا حَتَّى تُدْفَنَ، كَانَ لَهُ قَبْرًا طَانٍ مِنْ أَجْرِ كُلِّ قَبْرٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُحُدٍ..»

فَارْسَلَ ابْنُ عُمَرَ حَبَابًا إِلَى عَائِشَةَ يَسْأَلُهَا عَنْ قَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فَيُخْبِرُهُ مَا قَالَتْ وَأَخَذَ ابْنُ عُمَرَ قَبْضَةً مِنْ حَضْبَاءِ الْمَسْجِدِ يُقَلِّبُهَا فِي يَدِهِ حَتَّى رَجَعَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ، فَقَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: صَدَقَ أَبُو هُرَيْرَةَ، فَضَرَبَ ابْنُ عُمَرَ بِالْحَصَى الَّذِي كَانَ فِي يَدِهِ الْأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ فَرَطْنَا فِي قَرَارِيضَ كَثِيرَةٍ. (صحيح مسلم: ٩٤٥).

## إنا لله وإنا إليه راجعون

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ صُدُورِ الرِّجَالِ. وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بَقْبِضِ الْعُلَمَاءِ»

توفي فضيلة الأستاذ الدكتور/ علي لقم أستاذ اللغويات بكلية الدراسات الإسلامية جامعة الأزهر يوم الثلاثاء ٢٦ من شهر ربيع الآخر ١٤٤٦ هـ - ٢٩ من أكتوبر ٢٠٢٤ م.

وتتقدم أسرة تحرير المجلة والمركز العام بخالص العزاء لأسرة الشيخ وتلاميذه.

قاللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب النار.

اللهم اغفر لعبدك، وارحمه وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين. اللهم واجعل قبره روضة من رياض الجنة، وارزقه الفردوس الأعلى من الجنة بمنك وكرمك يا أرحم الراحمين.

## من روائع الماضي

الرسول ﷺ بين  
الميلاد البشري والميلاد النبوي

إعداد: الشيخ / محمد حامد الفقي

رحمه الله

معيشة ضنكاً. قال صلى الله عليه وسلم: "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لئن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنتي"، وقال: "وانه من يعيش منكم فسيروا اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة"، وقال: "لتركبن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه"، وقال: "لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة".

كل ذلك يدلنا دلالة واضحة على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حذراً أشد الحذر على أمته من الافتتان بما سيوحيه شياطين الجن والإنس من زخرف القول وغروره، رداً لهم عن دينهم، وإرجاعاً لهم إلى الكفر بعد إن أنقذهم الله منه. وبين لنا أن سبيل الشيطان إلى فتنة النصارى وغيرهم هي بعينها سبيله إلى هذه الأمة. وأن علينا أن ننظر في أصل كفر هؤلاء، وما أدى بهم إلى عداوة عيسى ابن مريم وغيره من الأنبياء.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف من طباع الأمم وتحولها عن دين الحق ما رأى في اليهود والنصارى وقريش. ويزيد الله تعالى بذلك علماً. ويخشى على أمته أن تتردى في مثل ما تردى فيه أولئك المتردون. ويعلم الله أن أهل الكتاب لا يد أن يحاولوا رد كثير من المسلمين عن دينهم إن استطاعوا. وسيبدلون في ذلك كل ما يستطيعون. علم ذلك كله رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فحذر أمته أشد التحذير من تلك الفتنة وخوف أشد التخويف من دسائس أهل الكتاب. وأعطانا سلاحاً قوياً تدفع به عن أنفسنا كيد أعداء الأنبياء من شياطين الجن والإنس.

ذلك هو القرآن الذي تولى الله تعالى بنضه وضمن حفظه. والسنة المطهرة التي تركها فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم. من تمسك بهما فلن يضل ولن يشقى ومن أعرض عنهما فإن له

القبور والمتخذين عليها المساجد والموقدين عليها السرج".

وقال أبو الهياج الأسدي: "بعثني علي رضي الله عنه، وقال: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ألا تجد قبراً مشرفاً إلا سويته، ولا تمثالا إلا طمسته"، وقال غير ذلك كثير، ولكن الناس اليوم غلبت عليهم -العادات الجاهلية- فطرحوا كل هذا وراء ظهورهم وتبعوا ما شرعه لهم يهود هذه الأمة ورهبانها وقساوستها من تلك الأعياد التي لم يأذن الله ولا رسوله بها، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله: يحلون لهم ما حرم الله، ويحرمون عليهم ما أحل الله، وبنوا على القبور المساجد ونصبوا عليه الستور، ووضعوا عندها صناديق النذور، واحتفلوا لها بالأعياد السنوية كل ذلك مضاهاة للمشركين الأولين، واماتة لسنة وشرعة سيد المرسلين.

وزين لهم شياطين الجن والإنس ذلك بما أوحوا إليهم من زخرف القول: بأن ذلك تعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم، وتعظيم لآل بيته وحب له وحب للصالحين، وكذبوا، فوالله ما هو إلا تعظيم للشرك والمشركين، وحب للشيطان وحزبه الخاسرين، وإلا فهل كان هؤلاء المفتونون الجاهلون الضالون في آخر الزمن الذين يبيعون دين الله بأخس الأثمان؛ ويشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أعرف بفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يعظمه من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبقية الصحابة والتابعين والأئمة المهتدين رضي الله عنهم، وهم أحرص على حب الله والرسول من هؤلاء المؤمنين الصادقين؟ كلا والله وألف مرة كلا. فما بال هؤلاء السلف أعرضوا عن تلك الأعياد، وعن تلك الأنصاب والقباب؟ بل ما بالهم كانوا يحاربونها، ويهدمونها ويظهرون الأرض منها؟

لنعرفه فنتقيه ونعلمه فنحذره. فإن جهلنا ذلك، وقلنا: إن النصرى وغيرهم كفروا لأنهم يهود ونصرى لا لأنهم غلوا في عيسى، ولا لأنهم شرعوا في دين الله ما لم يأذن به الله واتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ومعابد، واتخذوا لها الأعياد، ولا لأنهم وضعوا في أعناقهم أغلال التقليد الأعمى لقسيسيهم ورهبانهم. وأن قاعدتهم وعمدتهم في الدين والعمل "حطها في رقبة عالم واطلع سالم".

إذا جهلنا ذلك ولم نتبينه حق التبين وقعنا فيه شراً مما وقعوا، واتخذناه نحن كذلك على مثل ما اتخذوه، عملاً صالحاً وقربة إلى الله، وخيراً تافعاً، ولا يزال ذلك حتى يملك علينا قلوبنا ويصبغها بصبغة الهوى والفتنة، فتعكس فطرتها وتنقلب حقيقتها فترى المنكر معروفاً والمعروف منكراً، والصالح باطلاً والباطل صالحاً، وأهل الخير والهدى أهل ضلال، وأهل الضلال والزيغ أهل الخير والهدى. وحينئذ يعمنا الله بعداب من عنده وتحق علينا آية: **لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ نَحْنِ يَسْمُكُونَ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ وَعِندَ رَبِّهِمْ لِيَبْلُغُوا إِلَى عَذَابِ اللَّهِ الَّذِي بَدَأَ يَسْمُكُونَ**، (المائدة: ٧٨).

ومن أجل هذا كله نجد القرآن الكريم قد كشف عن أحوال هؤلاء الكفار والمشركين وأسباب كفرهم وأعمال شركهم أتم كشف، وكذلك السنة المطهرة، لتأخذ العبرة ولنتقي ذلك ونحذره.

ومع هذا فقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تلك الأعمال الجاهلية والأعياد الشركية نصاً صريحاً لا يقبل التأويل، ولا يصرفه عن مراده ومقصده إلا مشاق لله ورسوله، ومتبع غير سبيل المؤمنين، فقال: "لعن الله اليهود والنصرى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"، قالت عائشة: "يحذر مما صنعوا، ولولا ذلك لأبرز قبره"، وقال: "لا تتخذوا قبوري عيداً"، وقال: "لعن الله زوارات

والله ما هي إلا القلوب التي طبع الله عليها. فأبغضت سنة رسول الله وحاوت إطفاء نور الله. وبذلت في ذلك الأموال لتبلغ غايتها. وتحيي ما أمات الله وتميت ما أحيا الله وما كانت تلك القلوب الخبيثة المجرمة إلا قلوب أعداء الإسلام من اليهود والنصارى ومجوس الفرس، لبسوا للناس ثوب الإسلام الظاهر، حين رأوا أن ثوب الحرب لم يذهبهم شيئاً. مع استمسك المسلمين بحبل الله المتين وعروة الله الوثقى.

فأعملوا في القلوب والعقائد سلاح بدعهم وأباطيلهم حتى ظفروا واستعمروها وتمكنوا منها، فخربت من ذكر الله، ومن دين الله ومن نور الله. فصرفوهم على أهوائهم كما يشاءون ولعبوا بهم كما يريدون، وأذلوهم بعد العزة، واستبدوا بعد ذلك في الديار والأموال. بعد ما استعبدوا القلوب والنفوس ببدهم وضلالاتهم. ورحم الله مالك بن أنس رضي الله عنه إذ قال: "والله لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها".

هذه بدعة الأعياد الجاهلية باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منها بريء، بأبي هو وأمي، وباسم آل بيت رسول الله؛ وهم منها برآء. وهذه بدعة القباب ورفع القبور باسم آل بيت رسول الله وهم منها برآء. هذه البدع كلها: أول من ابتدعها الدولة اليهودية المجرمة الخبيثة الفاسدة المفسدة، دولة العبيديين المتسماة كذباً وزوراً وخداعاً وتقريراً باسم "الفاطميين" وهم برآء من فاطمة الزهراء عليها السلام. وهي بريئة منهم. هم أول من أحدث قبة على القبر الذي بنوه بالقاهرة باسم الحسين رضي الله عنه، والحسين بريء منهم ومن قبرهم. وزعموا كذباً أنهم أحضروا رأسه المشرف من المدينة

إلى ذلك القبر، ليموهوا على الدهماء والعامه، وكذبهم التاريخ، ولا يزال رأس الحسين رضي الله عنه بالمدينة لم يخرج منها، وليس في القبر إلا هواء، كما أن أفئدة العاكفين عنده والمعظمين له والطائفين به وعابديه، هواء في هواء.

وكانوا يزخرفون هذا المنكر بكثرة ما يذبحون من الذبائح وما يطعمون من الطعام، وما يخلعون من الخلع ومن الأموال يشترون بها ذمم الذين باعوا دينهم في سوق الدنيا لأولئك المجرمين؛ واشتروا الحياة الدنيا بالآخرة. وكانوا يقيمون من الألعاب واللهو ما يفتنون به العامة. وكانوا مع هذه الدعوة في حب الحسين وآل الحسين يسبون أبا بكر وعمر-رضي الله عنهما- على المنابر والمآذن عقب الخطب والأذان؛ ويصلون على الشيطان الذي يتسمى باسم الخليفة المعزل لدين الله، والهادم لشرعة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قبحهم الله وأذاقهم من عذابه وشديد عقابه ما هم له أهل.

وليس هذا من أولئك اليهود عجبا. فهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، وإنما العجب أن يقلدهم في ذلك من ينتسب إلى الإسلام، ويترك اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته واتباع علي رضي الله عنه وآل بيته. هل يستطيع أحد أن يدعي أن علياً أحيا مولداً للنبي صلى الله عليه وسلم؟ أو أن الحسن أو الحسين أو أحد أولاد علي رضي الله عنهم أحيوا مولداً لأبيهم؟ وهل يستطيع أحد أن يقول: إن الحسن أو الحسين رضي الله عنهما بنتوا على قبر أبيهما قبة، ووضعوا عليه مقاصير النحاس المفضضة وستروه بأستار الحرير وأضاءوا عنده الشموع والسرج؟!!

أليس هذا من أعجب العجب، أن يكون علي

رضي الله عنه هو الذي وظفه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هدم القبور العالية وتسويتها بالأرض. وطمس الأنصاب وإزالتها. ثم يجيء المجرمون فيقيمونها باسم علي وأولاد علي؟ اللهم إني أشهد أن هذا أفجر الضجور، وأفحش الفحش، وأشهد أن علياً وأولاد علي رضي الله عنهم مبرؤون من كل هذه القباب والمقاصير والأعياد والموائد الجاهلية؛ وأنهم لو بُعثوا اليوم لكانوا أول من يهدمها ويحارب المعظمين لها والمحتفلين بها.

والله إن ذلك الحب المزعوم: ما يتخذه أولئك السدنة الدجالون إلا شبكة يصيدون بها العامة والدهماء ليأكلوا أموالهم بالباطل. ولو أنه أغلقت هذه الصناديق وأزيلت تلك القباب، وأبطلت تلك الأعياد، وانقطع مورد السحت الذي يملؤون به بطونهم. لو وقع هذا ما فكروا في علي ولا في أولاد علي، ولا في أحد من أولئك الموتى الصالحين؛ ولا خطر لهم ببال، وهو لم يخطر لهم اليوم ببال، وإنما هو الدجل الذي كان يتأكل منه رهبان النصارى وأخبار اليهود باسم أنبيائهم وصالحيه، وطريقة واحدة سلكوها، وشبكة واحدة أتقنوا صنعها؛ وأنا لله وأنا إليه راجعون.

هذا ولم يزل علماء الإسلام ومصاييح الهداية الذين لم يستطع العبيديون ولا غير العبيديين أن يشترى ضمائرهم ولا ذمهم مهما كان من مال أو وظيفة أو رياسة أو دنيا، ولم تجد زخارف الشيطان إلى قلوبهم سبيلاً؛ ولا يزال يشع في قلوبهم نور الإيمان والعلم النبوي؛ ولا تزال نفوسهم حية قوية الحياة بروح القرآن وهدايته. لم يزل أولئك العلماء المهتدون، لا يزالون قائمين على الحق؛ واقضين لحزب

الشيطان بالمرصاد، أخذوا عدتهم وادرعوا السنة المحمدية ورفعوا سيف القرآن على عنق البدعة وأهلها، يعرضون بها في كل وقت وينادون بها في كل مجتمع وبلد؛ ويصبرون على ما ينالهم من أذى السنة المبتدعين وأيديهم، يقتدون برسول الله وأخوانه الأنبياء **مَدَنَ لِكَيْسَ اللهُ** (الأنعام: ٣٤) يقولون كلمة الحق عالية مهما آذت الخرافيين؛ ويصكون في وجوههم بسيرة السلف الصالح، وإن كانوا لها كارهين؛ لا يثنيه عن ذلك تشنيع دعاة البدعة، عمى الأبصار والبصائر، ولا يهمهم ما يشيعونه عنهم من بهتان مبین، ولا يعباون بما يزخرفون على الدهماء والعامة من أن فلاناً يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه يمنع من إقامة المولد له، ويبغض الحسين وآل البيت رضي الله عنهم لأنه يكره ما أقيم على قبورهم من أنصاب وأوشان، وما يفعله أمثال الأنعام، عندها من دعاء للمقبور واستغاثة به، تقبيل للأحجار والمقاصير وتمسح بها وطواف حولها. كل ذلك التشنيع والتهويل لا يعبا به أنصار سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يعيرونه من نفوسهم أدنى التفات، ولا يزيدون على **قَوْلِهِمْ** **لَوْلَا بَشَرَتُكَ إِنَّ اللَّهَ عَلَّمَ بَشَرَتَ الْأَنْسَابِ**، (آل عمران: ١١٩).

لا يزال أولئك العلماء يقومون لله ورسوله بدفع هذه البدع وتحذير الناس منها في كل زمان ابتغاء وجه الله، لا يريدون من الناس جزاء ولا شكوراً؛ ولا يخافون في الله لومة لائم. فمن أولئك العلماء الأجلاء الذين أنكروا بدعة مولد النبي صلى الله عليه وسلم؛

الامام أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي من أئمة العلماء بالمغرب، وشارح كتاب الموطأ. أحد

شيوخ الإمام ابن عبد البر الأندلسي- توفيت سنة ٤٩٤هـ. وقد سئل عن بدعة المولد فقال رحمه الله، ورحمنا معه:

لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة، ولا يُنقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بأثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها الباطلون؛ وشهوة نفس اعتنى بها الأكالون؛ بدليل أنا إذا أدركنا عليه الأحكام الخمسة، قلنا؛ إما أن يكون واجباً، أو مندوباً، أو مباحاً، أو مكروهاً، أو محرماً. وليس هو بواجب إجماعاً ولا بمندوب، لأن حقيقة المندوب ما طلبه الشرع من غير ذم على تركه، وهذا لم يأذن فيه الشرع ولا فعله الصحابة ولا التابعون ولا العلماء المتدينون فيما علمت. وهذا جوابي عليه بين يدي الله تعالى إن سئلت عنه.

ولا جائز أن يكون مباحاً؛ لأن الابتداع في الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين. فلم يبق إلا أن يكون مكروهاً أو حراماً، وحينئذ يكون الكلام فيه في فصلين. والتفرقة بين حالين:

إحدهما؛ أن يعمله رجل من عين ماله لأهله وأصحابه وعياله ولا يجاوزون في ذلك الاجتماع أكل الطعام، ولا يقترفون شيئاً من الآثام؛ وهذا الذي وصفناه بأنه بدعة مكروهة وشناعة. إذ لم يفعله أحد من متقدمي أهل الطاعة الذين هم فقهاء الإسلام وعلماء الأنام، وسرج الأزمنة، وزين الأمكنة.

والثاني أن تدخله الجنائية؛ وتقوم به العناية؛ حتى يعطي أحدهم السحت ونفسه تتبعه وقلبه يؤكده ويوجعه؛ لما يجد من ألم الحيف. وقد قال العلماء؛ أخذ المال بالحياء كأخذه

بالسيف، لا سيما إذا انضاف إلى ذلك شيء من الغناء مع البطون الملىّ بآلات الباطل من الدفوف والشبابات واجتماع الرجال مع الشباب المرء والنساء الفاتنات؛ أو مختلطات بهم أو متشرفات، والرقص بالثني والانعطاف؛ والاستغراق في اللهو، ونسيان يوم المخاف. وكذلك النساء إذا اجتمعن على انفرادهن رافعات أصواتهن بالتطريب في الإنشاد والخروج في التلاوة والذكر عن المشروع والأمر المعتاد غافلات عن قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَازِئِرٌ﴾ (الضجر: ١٤).

وهذا الذي لا يختلف في تحريمه اثنان، لا يستحسنه ذوو المروءة الفتيان، وإنما يحلو ذلك لنفوس موتى القلوب وغير المستقلين من الآثام والذنوب. وأزيدك أنهم يرونه من العبادات؛ لا من المنكرات والمحرمات، فإننا لله وإنا إليه راجعون "بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ".

أما بعد فليس تلك الملاهي والمفاسد التي تقام باسم النبي صلى الله عليه وسلم، وليس ما يعمله أهل الطرق الصوفية من رقصهم وغنائهم، والأعبيهم التي يضيعون لأجلها الصلوات، ويهتكون بها المحرمات، ويشاققون بها الله والرسول. ليس شيء من ذلك مما يحبه الله والرسول، ولا كان يدعو إليه الرسول؛ وإنما كان من أشد ما ينهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم.

وإنما إحياء ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم- كما قلنا- بإحياء العمل بسنته، واتباع دينه والوقوف عند حدوده، لا بتلك المهازل التي تدمي قلب الإسلام، وتصيبه في الصميم، من فسوق وفجور وسفه وطيش؛ وبدع وخرافات. والحمد لله رب العالمين.



# قصة مفتراة على الصحابي البدرى أبي اليسر الأنصاري

اعداد الشيخ / علي حشيش

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، فتواصل في هذا التحذير  
تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم، حتى يقف على حقيقة  
هذه القصة الواهية التي اشتهرت على أسنة القصاص والوعاظ، والى  
القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أ- الثعلبي في تفسيره "الكشف والبيان  
عن تفسير القرآن" (١٩٣/٥)، ط دار إحياء  
التراث، بيروت.

ب- البغوى في تفسيره "معالم التنزيل في  
تفسير القرآن" (٤٩٦/٢)، ط دار إحياء التراث  
بيروت.

ج- الجرجاني في تفسيره "درج الدور في  
تفسير الآي والسور" (١١٦/٢)، ط دار الفكر،  
عمان.

د- الزمخشري في تفسير "الكشاف من  
حقائق غوامض التنزيل" (٤٥٣/٢) ط دار  
الكتاب- بيروت.

هـ- القرطبي في تفسير "الجامع لأحكام  
القرآن" (١١١/٩)، ط دار الكتب المصرية.

و- الخازن في تفسيره "لباب التأويل  
في معاني التنزيل" (٥٠٦/٢) ط دار الكتب  
العلمية بيروت.

وقال: "قوله عز وجل: «أقم الصلاة طرية  
النهار، سبب نزول هذه الآية ما رواه الترمذي  
عن أبي اليسر...".

ز- ولذلك أوردتها السيوطي في "لباب  
النقول في أسباب النزول ط دار إحياء العلوم،  
بيروت. وقال: أخرج الترمذي عن أبي اليسر  
قال: "أتتني امرأة تبتاع تمرأ.. الحديث.

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة:

١- هذه القصة اشتهرت على  
أسنة القصاص والوعاظ،  
ومما ساعد على ذلك وجودها  
في بعض كتب السنة الأصلية.  
وهي الكتب التي صنفتها مؤلفوها  
عن طريق تلقيها عن شيوخهم  
بأسانيد إلى النبي صلى الله عليه  
وسلم.

٢- وسنقوم بتوفيق الله  
بتخريجها وتحقيقتها وكشف  
عوارها، وبيان عوارها وأن  
الصحابي الجليل أبا اليسر بريء  
من هذه القصة، ولم تصح عنه،  
كما سنبين من النقد الخارجي  
"نقد السند"، ومن النقد  
الداخلي "نقد المتن"، وذلك  
لأن عدداً من المفسرين  
أوردوا في تفاسيرهم قصة  
الصحابي الجليل أبي اليسر؛  
لوجودها في بعض كتب  
السنة الأصلية.

ومن هذه التفاسير على  
سبيل المثال لا الحصر:

عَنْ أَبِي الْيَسْرِ قَالَ: أَتَيْتِي امْرَأَةً تَبْتَاعُ تَمْرًا. فَقُلْتُ: إِنَّ فِي الْبَيْتِ تَمْرًا أَطْيَبَ مِنْهُ. فَدَخَلْتُ مَعِي فِي الْبَيْتِ، فَأَهْوَيْتُ إِلَيْهَا فَبَقِلْتُهَا، فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: اسْتَرَّ عَلَى نَفْسِكَ وَتَبَّ وَلَا تُخْبِرْ أَحَدًا. فَلَمْ أَصْبِرْ فَأَتَيْتُ عُمَرَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: اسْتَرَّ عَلَى نَفْسِكَ وَتَبَّ وَلَا تُخْبِرْ أَحَدًا. فَلَمْ أَصْبِرْ فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ. فَقَالَ لَهُ: "أَخْلَفْتَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي أَهْلِهِ بِمِثْلِ هَذَا". حَتَّى تَمَنَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ اسْلَمَ إِلَّا تِلْكَ السَّاعَةَ. حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. قَالَ: وَأَطْرَقَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَوِيلًا حَتَّى أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: "وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرِيقَ النَّهَارِ وَزَلْظًا مِنَ اللَّيْلِ". إِلَى قَوْلِهِ: "ذَكَرَى لِلذَّاكِرِينَ". قَالَ أَبُو الْيَسْرِ فَأَتَيْتُهُ فَقَرَأَهَا عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلْهَذَا خَاصَّةٌ أَمْ لِلنَّاسِ عَامَّةٌ؟ قَالَ: "بَلْ لِلنَّاسِ عَامَّةٌ".

## ثالثاً: النقد الداخلي للتمر

هذه قصة مفتراة على الصحابي الجليل ولا تصح، كما سنبين من التخريج والتحقيق وبيان ما في الإسناد من علة، وهذا ما يسمى بالنقد الخارجي، وفي هذا المنهج رد على ادعاء المستشرقين - جهلاً وبهتاناً - بأن المحدثين اعتنوا بالنقد الخارجي أي من ناحية الرواة، ولم يعتنوا بالنقد الداخلي وهو نقد المتن". اهـ.

## والى القارئ الكريم النقد الداخلي نقد المتن

## المفترى على الصحابي الجليل أبي اليسر:

١- وللسائل أن يسأل: من هو الصحابي أبو اليسر؟

يجيب عن هذا السؤال الإمام الذهبي في "سير أعلام النبلاء" (٣/٢٦٩/٣٤١) ط مكتبة الصفا- القاهرة قال:

أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري السلمي، المدني، البدري، العقبي، الذي أسر العباس رضي الله عنهما يوم بدر، شهد العقبة، وله عشرون سنة، وهو الذي انتزع راية المشركين يوم بدر، ومناقبه كثيرة، وقد شهد صفين مع علي، ومات؛ بالمدينة في سنة خمس وخمسين، وهو آخر من

مات ممن شهد بدرًا". اهـ.

قلت: وهذه الإجابة تتفق تمام الاتفاق مع ما أورده الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (٣٦٨هـ-٤٦٣هـ) في كتابه "الاستيعاب في أسماء الأصحاب" ترجم له في الكنى، وزاد إيضاحاً فقال: "أبو اليسر كعب بن عمرو شهد بدرًا بعد العقبة، فهو رضي الله عنه عقبي بدري، وهو الذي أسر العباس بن عبد المطلب يوم بدر، وكان رجلاً قصيراً والعباس رجلاً طويلاً نجماً جميلاً، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "لقد أعانك عليه ملك كريم"، وهو الذي انتزع راية المشركين وكانت بيد أبي عزيز بن عمير يوم بدر". اهـ.

٢- هذا هو الصحابي الجليل أبو اليسر الأنصاري شهد العقبة، فهو من السابقين الأولين في قول رب العالمين: "والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه" (التوبة: ١٠).

استنتاج: نستنتج مما أوردناه أن الصحابي الجليل أبا اليسر مناقبه كثيرة، ومنازله عظيمة، فهو في منزلة السابقين الأولين، وفي منزلة الرضا، وفي منزلة الاحسان فمن المحال صحابي في منازل الأبرار، يفعل أفعال الضجار، فمن إفكهم ليقولون: إن أبا اليسر جاءته أمة تبتاع تمرًا، فقال لها: إن في البيت تمرًا أطيب منه، فدخلت معه البيت، فأهوى إليها فقبلها.

والنكارة ظاهرة على هذا الحديث: لأن أبا اليسر الصحابي الجليل كما بينا آنفاً أنه في مقام الرضا والاحسان يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فالله تعالى يراه، فمن المحال عبد في مقام الاحسان يتبع خطوات الشيطان من مكرواستدراج لامرأة جاءت تشتري منه تمرًا، فيستدرجها إلى البيت بإغرائها أن في البيت أطيب التمر.

وكانت الخطوة الثانية الشيطانية، أنه استدريجها حتى أدخلها معه البيت، ثم كانت الخطوة الثالثة بعد أن استخفى من الناس أهوى إليها يقبلها، قال تعالى: "وَمَنْ يَبْتَغِ خُلُوفَ النَّيْلِ فَمَنْهُ مِنْ عُصْفَرٍ أَكَلَهُ" (النور: ٢١).



قلت: وهذا الحديث الذي جاءت به القصة حديث منكر. وسنبين من النقد الخارجي (نقد الإسناد) أن في الإسناد من هو منكر الحديث، والقصة مفتراة على الصحابي الجليل أبي اليسر الأنصاري. رضي الله عنه.

٣- كذلك الصحابي الأنصاري أبو اليسر البدري الذي شهد بدرًا. بل كان من أعلام غزوة بدر. فقد أسر سيد قريش العباس بن عبد المطلب، ونزع راية المشركين. وكانت بيد أبي عزيز بن عمير يوم بدر، فهو من الشجعان الكرام، فمن أمحل المحال أن يفعل أفعال اللئام. بامرأة كان زوجها غائباً عنها غازياً في سبيل الله، كما جاء في متن هذا الحديث المنكر.

٤- ومما يشهد على نكارة هذه القصة، وأنها مفتراة على الصحابي الجليل أبا اليسر ما أخرجه مسلم في "صحيحه" في كتاب "الزهد والرقائق" (ح ٧٥)، بؤب له الإمام النووي الباب (١٨) - باب: "حديث جابر الطويل، وقصة أبي اليسر"، وفيه ما يشهد على استمرارية ما بايع عليه النبي صلى الله عليه وسلم يوم العقبة من السمع والطاعة واتباع النبي صلى الله عليه وسلم، حيث يقول أبو اليسر: فأشهد بصري عيني هاتين ووضع إصبعيه على عينيه، وسمع أذني هاتين، ووعاد قلبي هذا، (وأشار إلى قلبه)، ثم يذكر ما رأى وما سمع وما وعاد قلبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطلبه على نفسه في قصة طويلة في هذا الحديث لا تتحملها المساحة المتاحة للنشر: (طبقه تطبيقاً فعلياً مرتين)، فليرجع إليه.

#### رابعاً: التخريج:

الحديث الذي جاءت به هذه القصة:

١- أخرجه الإمام الترمذي في "السنن" (ح ٥) قال: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، أخبرنا يزيد بن هارون. أخبرنا قيس بن الربيع، عن عثمان بن عبد الله بن وهب، عن موسى بن طلحة، عن أبي اليسر قال: "وأنتني امرأة تبتاع تمرًا..." القصة.

٢- وأخرجه الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره "جامع البيان في تأويل القرآن" (١١٤/٧)

(ح ١٨٦٩٧) قال: "حدثني الجارث قال: حدثنا عبد العزيز قال. حدثنا قيس بن الربيع به.

#### خامساً: النقد الخارجي: (نقد الإسناد)

الحديث الذي جاءت به هذه القصة القصة المفتراة على الصحابي أبي اليسر الأنصاري علته: قيس بن الربيع، وهو الأسدي الكوفي؛ قال الإمام الحافظ الجوزجاني في "أحوال الرجال" (٧٥): "ساقط". وقال الإمام الذهبي في "الميزان" (٢٩٣/٢٩١١): "سبى الحفظ، وقال يحيى بن معين: لا يكتب حديثه". وقال النسائي: "متروك". وقيل لأحمد بن حنبل: لماذا تركوا حديثه؟ قال لأنه كان يتشيع، وكان كثير الخطأ، وله أحاديث منكرة". اهـ.

وقال الإمام الحافظ ابن حبان كما في المجروحين (٢/٢١٧): "قيس بن الربيع الأسدي، تركه يحيى القطان، أما يحيى بن معين فكذبه، وقال: ليس بشيء، ثم قال ابن حبان: لما كبر ساء حفظه وامتنحن بابن سوء فكان يدخل عليه، قال عفان: "لما قدمت الكوفة أتيناها فجلسنا إليه فجعل ابنه يلقنه". اهـ.

قلت: بهذا يتبين أن قيس بن الربيع: ساقط، متروك، ليس بشيء، كثير الخطأ، فحديثه ساقط لا يصح.

تنبيه: حتى لا يتقول من لا دراية له بالصناعة الحديثية، فقد بينا أن قيس بن الربيع ساقط متروك، لا تصح متابعاته. والحديث الذي أخرجه النسائي في "السنن الكبرى" (ح ٧٣٢٧) من طريق شريك عن عثمان بن موهب، به. فشريك لا يزيد الحديث إلا وهناً على وهن.

قال الإمام الحافظ الجوزجاني في "أحوال الرجال" (١٣١): "شريك بن عبد الله النخعي سبى الحفظ، مضطرب الحديث مائل". اهـ. وقال الحافظ ابن حجر في "التقريب" (١/٣٥١): "شريك يخطئ كثيراً". وقال الحافظ العراقي في "شرح الألفية" (ص ٧): من كثرة الخطأ في حديثه وفحش استحق الترتك ولو كان عدلاً". اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

# درر البحار

## في بيان ضعف الأحاديث القصار

العدد ١٤٤٦ هـ / الشيخ / علي حشيش

درر  
البحار

القسم الثاني  
الحلقة

148

مصرحاً، فإهمال المصنف الأصل، واقتصاره على الفرع غير جيد". اهـ.

٤- قلت: والإمام السيوطي رحمه الله لم يهمل الأصل، ولو رجح المناوي، عفا الله عنا وعنه، إلى "مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار" يجد أن السيوطي عزاه أيضاً لأبي نعيم كما بينا آنفاً.

٥- الربط بين التخريجين في رواية "أبي علي الحداد عن أبي نعيم" نسخه نبيط بن شريط فالحداد أخرجه أبو منصور الديلمي في "مسند الفردوس" (ح ١٦٥٧- الغرائب الملتقطة) قال: أخبرنا الحداد، أخبرنا أبو نعيم، حدثنا أبو جعفر محمد بن إبراهيم المكي، حدثنا أحمد إسحاق بن إبراهيم بن نبيط بن شريط، عن أبيه إبراهيم، عن أبيه نبيط قال: قال رسول الله صلى عليه وسلم: "الذكر نعمة من الله فأدوا شكرها".

### ثانياً: التحقيق:

قال الإمام الذهبي في "الميزان" (٢٩٦/٨٢/١): "أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن نبيط بن شريط عن أبيه عن جده بنسخة فيها بلايا، فلا يحل الاحتجاج به، فإنه كذاب".

الاستنتاج: من التخريج والتحقيق نستنتج أن الحديث "موضوع".

"الذكر نعمة من الله تعالى فأدوا شكرها".

الحديث: لا يصح: أورده الإمام السيوطي في "مخطوطة دور البحار في الأحاديث القصار" (١/٤٣) مكتبة الحرم النبوي "الحديث"، رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧)، وقال: "أبو نعيم عن نبيط بن شريط".

قلت: فالحداد عزاه الإمام السيوطي لأبي نعيم في "نسخة نبيط بن شريط". وهذا تخريج بغير تحقيق فيتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث صحيح، وهو كما سنبين أنه حديث "موضوع".

### أولاً: التخريج:

١- الحديث أورده الإمام السيوطي في "مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار"، عزاه لأبي نعيم في "نسخة نبيط بن شريط" كما بينا آنفاً.

٢- والحديث نفسه أورده الإمام السيوطي في "الجامع الصغير" (ح ٦٨٠٧) وقال: "فرع عن نبيط بن شريط".

قلت: "فر" ترمز إلى "مسند الفردوس" للديلمي.

٣- وانتقد المناوي في كتابه "فيض القدير" شرح الجامع الصغير" (٢٥٦٩/٣) (ح ٤٣٥١) تخريج الإمام السيوطي وعزوه الحديث في "مسند الفردوس" للديلمي، فقال المناوي: "ورواه أيضاً أبو نعيم، وعنه تلقاه الديلمي

جمادى الأولى ١٤٤٦ هـ - العدد ٦٤١  
السنة الرابعة والخمسون

٤٨

## الألفاظ الموهمة في باب الصفات . بين الإجمال والاستئصال (٥)

### تصور أئمة أهل السنة

## لمصطلح (التجسيم) الموهوم، ورد مبتدئ عليه من أهل التجهم والاعتزال والكلام

أ. د. محمد عبد العليم الدسوقي

الأستاذ بجامعة الأزهر

ولا حقائق أسمائه وتفصيل ما يحب له ويمتنع عليه ويوصف به؛ إلا من جهة هذه الواسطة. فجاء هؤلاء الملاحدة فعمسوا الأمر وقلبو الحقائق؛ فنضوا كون الرسل وسائط في ذلك؛ وقالوا: يكفي توسط العقل ونضوا - بموجب عقولهم القاصرة - حقائق أسمائه وصفاته وقالوا: هذا هو التوحيد.

ويقولون: نحن ننزه الله عن الأعراض والأبغاض والحدود والجهات، وحلول الحوادث، فيسمع الغر المخدوع هذه الألفاظ فيتهم منها أنهم ينزهون الله عما يفهم من معانيها عند الإطلاق والنقائص والحاجة؛ فلا يشك أنهم يمجدونه ويعظمونه، ويكشف الناقد والنافذ البصير ما تحت هذه الألفاظ فيرى تحتها: الإلحاد وتكذيب الرسل وتعطيل الرب تعالى عما يستحقه من كماله" هكذا كشف ابن القيم في (صواعقه) ص ١٢٩ حقيقة أهل الإثبات والذين يتهمونهم ظلماً وزوراً

الحمد لله. والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد؛  
فمن العجب أن من ذكرنا أوصافهم - أعني: أهل التجهم والاعتزال والكلام - سموا توحيد الرسل؛ شركاً وتجسيماً وتشبيهاً مع أن التوحيد غاية الكمال، وسموا تعطيلهم والحادهم وبغيهم توحيداً وهو غاية النقص؛ ونسبوا أتباع الرسل إلى تنقيص الرب وقد سلبوه كل كمال، وزعموا أنهم أثبتوا له الكمال وقد نزهوه عنه، هذا هو توحيد (الجهمية) و(المعطلة).

وأما توحيد الرسل؛ فهو: إثبات صفات الكمال له وإثبات كونه فاعلاً بمشيئته وقدرته واختياره، وإن له فعلاً حقيقة؛ وأنه وحده الذي يستحق أن يعبد ويخاف ويرجى ويتوكل عليه؛ فهو المستحق لغاية الحب بغاية الدل، وليس لخلق من دونه وكيل ولا ولي ولا شفيع؛ ولا واسطة بينه وبينهم في رفع حوائجهم إليه، وفي تفريج كرباتهم وإجابة دعواتهم؛ اللهم إلا في تبليغ أمره ونهيه وأخباره؛ فلا يعرفون ما يحبه ويرضاه ويبغضه ويسخطه

وبهتاناً؛ بالتجسيم.

## ١- تصوّر عموم أئمة أهل السنة

لـ (مصطلح التجسيم) المبتدع؛

هذا، وقد اتفق السلف وعموم أهل السنة على أن (لفظ: الجسم) لفظٌ مجملٌ يتوقف فيه فلا نثبته ولا ننفيه لاحتمال صحة معناه؛ لكن لا نطلقه على الله لكونه لفظاً مبتدعاً. وأما (معناه) فيستفصل فيه، فإن أريد به الباطل الذي هو: (معهود من الخلق من أجزاء وأبغاضٍ مفتقر بعضها إلى بعض)؛ رددناه، لأنه يقتضي مماثلة الخالق بصفات المخلوق وهذا باطل وليس حقاً، وقد أبطله الله بقوله: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» (الشورى: ١١)، وقوله: «فَلَا تَقْرُبُوا رَبَّهُ الْأَنْتَالُ» (النحل: ٧٤)، وغير ذلك من الآيات التي تقطع دابر مماثلة الله بخلقه. وإن أريد به الحق؛ وهو: (الذات الكاملة من كل وجه المنتصف بصفات الإجلال والكبرياء والبهاء والعظمة على وجه لا يماثل صفات المخلوقين) قبلناه لئلا يُدعى على أهل السنة المثبته؛ أنهم ينفون ذاته تعالى وصفاته، لكن لا نسميه جسمًا بل نسميه بما سماه به النص؛ وهو: (الذات والصفات) فإن هذا المعنى حق ولا نطلق عليه جسمًا؛ لأن الحق لا ينبغي أن يُعبر عنه بلفظ مجمل، وعليه فيقال: (لله ذات، وله صفات تليق بذاته). ومن هذا المنطلق كانت كلمة أهل السنة وسلف الأمة على نفي الجسمية عن الله تعالى.

## ٢- نفي (الجسمية) عن الله لدى عموم أهل السنة،

بالمقارنة لنفيها لدى معطلة الجهمية ومن تبعهم؛

وقد نشأ القول بالجسمية - إضافة لما سبق ذكره - على إثر ما أحدثته مقولة الجهم بن صفوان من أن الله تعالى بذاته (موجود في كل الوجود) وأنه (هذا الهواء الذي في كل مكان)، من أثر سيئ في نفوس أتباعه ومن ورائهم المتكلمة.

لاستلزامها نفي استوائه تعالى على عرشه وعلوه على خلقه وعدم صونه عن أقبح الأماكن وأقذرهما. ولما كان لها من صدى في تعطيل كلي أو جزئي لصفات الكمال لله وافضائها إلى أنه تعالى إما معدوم لا وجود له إلا في الذهن، أو يكون هو عين العالم ساريًا فيه. وأيضًا لما أسفرت عنه من نفي مفصل واتصافه سبحانه بصفات سلوب جنح إليها متأخرو الأشاعرة تأثرًا بالجهمية والمعتزلة. وعلى إثر كل هذا عكف أئمة أهل السنة على رد تلك المقولة الأئمة والبدعة المنكرة.

وفيما يُعدُّ في باب المقارنات، إجمالاً وجمعاً لأطراف هذه القضية، يقول الذهبي - في العلو ص ١٠٧ وهو بمختصره ص ١٤٦ - إبان تطبيقه على ما قاله حماد بن زيد من أن الجهمية (يدورون على أن يقولوا؛ ليس في السماء إله) - "مقالة السلف وأئمة السنة، بل والصحابة والله ورسوله والمؤمنون: (أن الله في السماء، وأن الله على العرش، وأن الله فوق سماواته، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا)، وحجتهم على ذلك النصوص والآثار. ومقالة الجهمية: (أن الله في جميع الأمكنة). تعالى الله عن قولهم، بل هو معنا أينما كنا يعلمه. ومقالة متأخري المتكلمين - وهم الأشعرية تبعًا للمعتزلة-: (أن الله ليس في السماء ولا على العرش، ولا على السماوات ولا في الأرض، ولا داخل العالم ولا خارج العالم، ولا هو بائن عن خلقه ولا متصل بهم؟). وقالوا: (جميع هذه الأشياء صفات الأجسام والله منزه عن الجسم). قال لهم أهل السنة والأثر: (نحن لا نخوض في ذلك ولا نقول بقولكم، فإن هذه السلوب نعوت المعدوم، تعالى الله جل جلاله عن العدم، بل هو موجود متميز عن خلقه موصوف بما وصف به نفسه، من أنه فوق العرش بلا كيف).

ومن المهم أن نسرِد في هذا المقام بعضًا من نصوص



وأقوال السلف وأئمة السنة بشيء من التفصيل، لترسيخ ما أجمعوا من المعاني الصحيحة في هذه القضية .

### ٣- إجماع أهل السنة على (إثبات الصفات لله)

(ونفي الجسمية عنهما) خلافاً للجهمية

ومن تبعهم ممن نفواها مع التعطيل:

ومن غير ما سبق أن ذكرناه لأبي الحسن: وما أجمع عليه أئمة أهل السنة من إثبات نزوله تعالى ومجيئه وإتيانه على النحو الذي يليق بجلاله على ما هو مفصل في كتابنا: (قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله على ظاهرها دون المجاز). يقول ابن سريج فقيه العراق ت ٣٠٦: "جميع الآي الواردة في ذاته وصفاته، والأخبار الصادقة الصادرة عن رسول الله وفي صفاته التي صححها أهل النقل وقبلها النقاد الأثبات، يجب على المرء المسلم المؤمن الموفق:

الإيمان بكل واحد منه كما ورد، وتسليم أمره إلى الله كما أمر، وذلك مثل قوله تعالى: «مَلَّ يَطْرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ» (البقرة: ٢١٠). وقوله: «وَمَا رَبُّكَ وَالتَّكْوِينُ صَافًا» (الضجر: ٢٢). ونظائرهما مما نطق به القرآن: كـ(الفوقية والنفس واليدين، والسمع والبصر والكلام، والعين والنظر والإرادة، والرضا والغضب والمحبة والكرهية، والعناية والقرب والبعد والسخط والاستحياء، والدنو كقاب قوسين أو أدنى، وصعود الكلام الطيب إليه، وعروج الملائكة والروح إليه ونزول القرآن منه، وندائه الأنبياء عليهم السلام وقوله للملائكة، وقبضه وبسطه.. ونوره وتجليه، والوجه وخلق آدم عليه السلام بيده، ونحو: سماعه من غيره وسماع غيره منه)، وغير ذلك من صفاته المتعلقة به المذكورة في الكتاب المنزل على نبيه.

وجميع ما لفظ به المصطفى من صفاته: كفرسه

جنة الفردوس بيده، وشجرة طوبى بيده، وخط التوراة بيده، والضحك والتعجب، ووضع قدمه على النار فتقول قط قط، وذكر الأصابع، والنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا وليلة الجمعة وليلة القدر. وكغيرته وفرحه بتوبة العبد واحتجابه بالنور وبرداء الكبرياء، وأنه ليس بأعور وأنه يُعرض عما يكره ولا ينظر إليه، وأن كلتا يديه يمين. واختيار آدم قبضته اليمنى، وأنه يوم القيامة يحثو ثلاث حثوات من جهنم فيدخلهم الجنة. (ولما خلق آدم مسح ظهره بيمينه فقبض قبضة فقال: هؤلاء للجنة ولا أبالي أصحاب اليمين، وقبض قبضة أخرى وقال: هذه للنار ولا أبالي أصحاب الشمال، ثم ردهم في صلب آدم). وحديث القبضة التي (يخرج بها من النار قوماً لم يعملوا خيراً قط عادوا حمماً فيلقون في نهر من الجنة يقال له نهر الحياة). وحديث: (لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن).

وإثبات الكلام بالحرف والصوت وباللغات وبالكلمات والسور.. وغير هذا مما صح عنه صلى الله عليه وسلم من الأخبار المتشابهة الواردة في صفات الله، ما بلغنا وما لم يبلغنا مما صح عنه. اعتقادنا في ذلك، أن نقبلها ولا نردّها ولا نتأولها بتأويل المخالفين، ولا نحملها على تشبيه المشبهين، ولا نزيد عليها ولا ننقص منها، ولا نفسرها - يعني: تفسيراً يخرجها عن ظاهر معناها كما كان يفعل أتباع جهنم - ولا نكيّفها.. بل نطلق ما أطلقه الله ونفسر ما فسره النبي وأصحابه والتابعون والأئمة المرضييون من السلف المعروفين بالدين والأمانة، ونُجمع على ما أجمعوا عليه ونُمسك عما أمسكوا عنه، ونُسلم للخبر الظاهر والآية الظاهرة، لا نقول بتأويل (المعتزلة) (الأشعرية) (الجهمية) (الملحدة) (المجسمة) (المشبهة) (الكرامية) (المكيضة). بل نقبلها بلا تأويل

ونؤمن بها بلا تمثيل، ونقول: الإيمان بها واجب، والقول بها سنة، وابتغاء تأويلها بدعة".

ويقول الإمام الجويني (ت ٤٣٨) في رسالته في الاستواء وهي ب(المجموعة المنيرية) ١/١٨٣: "ليس من الإنصاف أن يفهموا في (الاستواء والنزول والوجه واليد) صفات المخلوقين، فيحتاجون إلى التأويل والتحريف.. فإن فهموا في هذه الصفات ذلك، فيلزمهم أن يفهموا في (الصفات السبع) صفات المخلوقين من الأعراض!! فما يلزمونا به في تلك الصفات من (التشبيه والجسمية)، نلزمهم في هذه الصفات في (العرضية)، وما ينزهون ربهم به في الصفات السبع وينفونه عنه من عوارض الجسم فيها، فكذلك نحن نعمل في تلك الصفات التي ينسبوننا فيها إلى التشبيه سواء بسواء. ومن أنصف: عرف ما قلناه واعتقده وقبل نصيحتنا؛ ودان الله بإثبات جميع صفاته هذه وتلك؛ ونفى عن جميعها التعطيل والتشبيه والتأويل والوقوف، وهذا مراد الله منا في ذلك؛ لأن هذه الصفات وتلك جاءت في موضع واحد وهو الكتاب والسنة، فإذا أثبتنا تلك بلا تأويل، وحرفنا هذه وأولناها، كنا كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض. وفي هذا بلاغ وكفاية".

ويقول البيهقي (ت ٤٥٨) في كتابه (الاعتقاد) ص ٩٣: "يجب أن يعلم أن استواء الله ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج ولا استقرار في مكان، ولا مماسية لشيء من خلقه، ولكنه مستو على عرشه كما أخبر، بلا كيف، بلا أين، بآن من جميع خلقه، وأن إتيانه تعالى ليس بإتيان من مكان إلى مكان، وأن مجيئه ليس بحركة، وأن نزوله ليس بنقلة، وأن نفسه ليس بجسم، وأن وجهه ليس بصورة، وأن يده ليست بجارحة، وأن عينه ليست بحدقة، وإنما هي أوصاف جاء به التوقيف فقلنا بها ونفيها عنها التكييف، فقد

قال تعالى: «ليس كمثله شيء»، وقال: «ولم يكن له كفواً أحد».. فكان أن أثبت - رحمه الله - صفات الخبر والفعل لله بعد أن نفى عنها التأويل والتجسيم والتشبيه بالحوادث. وقد مثل هذا الذي أفصح عنه: مذهبه الذي وافق فيه مذهب سلف الأمة قاطبة.

#### ٤- ابن عبد البر يتوسع في إثبات صفات النزول

##### والجيء، وينفي عن الله بصفاته الجسمية؛

وممن ساق الإجماع على ما ذكرنا: الإمام ابن عبد البر (ت ٤٦٣)، قال - في التمهيد ١٤٣/٧ لما انتهى إلى شرح حديث النزول - "هذا حديث صحيح وفيه دليل على أن الله في السماء على العرش فوق سبع سماوات كما قالت الجماعة، وهو من حاجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: (إن الله في كل مكان وليس على العرش). والدليل على صحة ما قاله أهل الحق في ذلك". ثم قال بعد أن ساق أدلة الاستواء ودحض شبهات من أنكره:

"ولا ندفع ما وصف به نفسه لأنه دفع للقرآن، وقد قال الله: «جاء ربك والملك صفًا صفاً»، وليس مجيئه حركة ولا زوالاً ولا انتقالاً، لأن ذلك إنما يكون إذا كان الجاني جسمًا أو جوهرًا، فلما ثبت أنه ليس بجسم ولا جوهر؛ لم يجب أن يكون مجيئه حركة ولا نُقْلة، ولو اعتبرت ذلك بقولهم: (جاءت فلان قيامته) و(جاء الموت) و(جاء المرض) وشبه ذلك مما هو موجود نازل به؛ ولا مجيء، لبيان لك".

إلى أن قال: "وأما قوله عليه السلام: (ينزل تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا)، فقد أكثر الناس التنازع فيه، والذي عليه جمهور أئمة أهل السنة أنهم يقولون: ينزل كما قال، ويصدقون بهذا الحديث ولا يكيفون، والقول في كيفية النزول كالقول في كيفية الاستواء والمجيء وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

# الحياة الزوجية في الإسلام

مصدر: الشيخ / ابراهيم حافظ رزق  
شرح مشكاة المصابي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلقد رغب الإسلام في الزواج بصور متعددة: فتارة يذكره على أنه من سنن الأنبياء وهدى المرسلين كما في قوله تعالى: « **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لِمَنْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً** » (الرعد: ٣٨). وتارة يذكر الزواج في معرض الامتنان؛ فيقول تعالى: « **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَيْنًا وَحَقْدَةً** » (النحل: ٧٢).

وتارة يذكره على أنه آية من آيات الله يتفضل بها على عباده؛ فيقول تعالى: « **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً** » (الروم: ٢١).

وقد شرع الله الزواج لتنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة فتنشأ من خلاله الأسرة التي هي قوام المجتمع. وقد حثت الشريعة الإسلامية الشباب على الزواج؛ لما فيه من المصلحة للفرد والجماعة، وتتجلى هذه المصلحة في أن الزواج هو أفضل طريق لاستنفاد طاقة الإنسان الجنسية المتجددة ووسيلة لتنظيم الفطرة التي أودعها الله في الإنسان، كما أن الزواج وسيلة للإنسان لحفظ نوعه وتخليد ذكراه بالتوالد والتناسل، ويقول تعالى:

وقد أمر الله في كتابه بالزواج وحضاً عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديثه، قال تعالى: « **وَاتَّكُمُوا الْأَيْمَنَ مَسْكْرًا وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ** » (النور: ٣٢)، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء، متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود.



« وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَحْتَمِلَ لَكُمْ مِنْ  
أَزْوَاجِكُمْ نِيبًا وَحَقْدَةً » (النحل: ٧٢).

والزواج نظام إلهي شرعه الله لعباده منذ أن خلق آدم وحواء. يقول تعالى: «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ بَيْنَهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا» (الأعراف: ١٨٩). والزواج أيضًا سنة من سنن الأنبياء والمرسلين كما سبق أن ذكرنا؛ حيث إن الزواج يصون العين ويحفظ الفرج ويُطْفئ الشهوة ويُشبع الغريزة ويطرد الهواجس، وبالزواج تسكن النفس وتكتمل الألفة وتُحفظ الصحة. يقول تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ بَيْنَهُمَا زَوْجَهَا وَبَيْنَهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً» (النساء: ١). فالزوجة سكن الزوج وهي شريكة حياته وربة بيته وأم أولاده ومهوى فؤاده وموضع سره ونجواه. وهي أهم ركن من أركان الأسرة؛ لذلك اهتم الإسلام باختيار الزوجة الصالحة وجعلها خير متاع ينبغي التطلع إليه والحرص عليه، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة» رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تُنَجِّحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسْبِهَا وَلِجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا؛ فَاظْفُرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ». ولم يقتصر اهتمام الإسلام بالزواج على الدعوة إليه والحث عليه، بل تعداه إلى الاهتمام بكيفية اختيار الزوج لزوجته، وكذلك الزوجة لزوجها، وتوضيح علاقة كل

منهما بالآخر، وما له من حقوق وما عليه من واجبات، يقول تعالى: «وَأَنْكِحُوا الْأَيَّتِمَّ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» (النور: ٣٢). وحث الرسول صلى الله عليه وسلم الشباب على أن يتخير لنفسه الزوجة الصالحة والتي تتمتع بحسن السمعة وكريم الأخلاق، وأن تكون من بيت مؤمن وأسرة متدينة، وفي الحديث الشريف: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض». رواه الترمذي عن أبي هريرة. وقد اختلف في صحته وحسنه الألباني.

ويقول في اختيار الزوجة: «فاظضرب ذات الدين تربت يداك».

فذاًت الدين تعرف حق ربها وحق زوجها، فدينها يصونها من كل ما يغضب الله، وكما يختار الرجل شريكة حياته فكذلك ينبغي للفتاة ولولي أمرها اختيار الزوج الصالح بالتحري والتدقيق، وبذل الجهد وحسن الاختيار.

وقد أوضح الإسلام حدود العلاقة بين كل من الزوج والزوجة، وأعلم كلاً منهما أنه إذا كان له بعض الحقوق لدى الطرف الآخر فإن عليه كذلك بعض الواجبات التي لا بد له أن يؤديها على أحسن حال وأكمل وجه، فمتى أديت تلك الواجبات عُمر البيت بحسن العشرة ودوام الصفاء، والألفة والمودة وخرج منه النسل الصالح النافع لنفسه ولأمته، وقد وضع الله تلك الحقوق



اكتسبت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبّح، ولا تهجر إلا في البيت» حديث حسن رواه أبو داود.

فالعلاقة الزوجية من أجمل وأفضل أنواع العلاقات الإنسانية وأسعدها وأهنئها، وليست هناك سعادة في الكون أجمل من حياة زوجين تحت ظل رباط الزواج الذي وصفه الله في كتابه بالميثاق الغليظ؛ كما في قوله تعالى: «وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا» (النساء: ٢١) ولذلك حرّم الزنا واللواط والمساكنة.

فعلى كل من الزوجين أن يلتزم بما فرض الله عليه من الواجبات تجاه الطرف الآخر، فلا تطلب المرأة مثلاً أن تتساوى بالرجل في جميع حقوقه، كما ينادي أذعياء الحضارة الغربية وتابعوهم ممن هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، ولا يستغل الرجل ما فضله الله به على المرأة من السيادة والقوامة، فيظلمها بدون حق، فقد قال الله تعالى: «الزَّيَالُ قَوْمُونَ عَلَىٰ نِكَآءٍ بِمَا فَسَّلَ اللَّهُ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ» (النساء: ٣٤)، ويقول سبحانه: «وَلَقَدْ مَثَلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَثْرُوفِ» (البقرة: ٢٢٨)، فعلى كل من الزوجين أن يتقي الله في صاحبه، وأن يحسن معاملته حتى تدوم العشرة بينهما، ويرفرق الاستقرار والهناء والسعادة على الأسرة.

وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

والواجبات في كتابه الكريم وفصلها الرسول صلى الله عليه وسلم في سنته؛ يقول الله تعالى: «وَلَقَدْ مَثَلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَثْرُوفِ وَالزَّيَالِ عَلَيْهِنَ دَرَجَةً» (البقرة: ٢٢٨).

فهذه الآية أثبتت لكل من الزوجين حقوقاً على صاحبه، وخصت الرجل بمزيد درجة لاعتبارات خاصة، ودلت الآية على ما للزوجة من حقوق وما عليها من واجبات.

والمعنى-والله أعلم-: أي وللنساء على الرجال من الحقوق مثل ما للرجال عليهن، فليؤد كل طرف منهما للآخر ما عليه بالمعروف، وأما قوله تعالى: «وَاللرَّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ»؛ فيقول ابن كثير في تفسير تلك الآية: أي في الفضيلة وفي الخلق والمنزلة وطاعة الأمر والإنفاق والقيام بالمصالح والفضل في الدنيا والآخرة. انتهى. (١/٦١٠)

وفي حجة الوداع وضّح الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبته الشهيرة ما للمرأة من حقوق، وما عليها من واجبات، فكان من جملة ما قال: «ألا وإن لكم على نساءكم حقاً، ونسائكم عليكم حقاً، فأما حقكم على نساءكم فلا يُوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وإن حقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن». رواه الترمذي عن عمرو بن الأحوص وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

وفي الحديث عن معاوية بن حيدة قال: قلت يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا

# خلق الرفق

الشيخ / صلاح عبدالخالق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.  
أما بعد، فإن الرفق خلق كريم من أخلاق الإسلام، وله أهمية وفضائل وثمرات كثيرة،  
وهذا ما سنتناوله في هذا المقال، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

## أولاً: تعريف الرفق:

هُوَ لِينُ الْجَانِبِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَالْأَخْذُ بِالْأَسْهَلِ  
وَهُوَ ضِدُّ الْعَنْفِ. (فتح الباري: ١٠/٤٤٩).

يقال «رفق بفلان/رفق على فلان/رفق لفلان:  
لطف به، وألان جانبه له، وأحسن الصنيع له  
"عامله برفق" معجم اللغة العربية المعاصرة»  
(٩١٩/٢).

قد يظن بعض الناس أن معنى الرفق أن تأتي  
للناس على ما يشتهون ويريدون، وليس الأمر  
كذلك؛ بل الرفق أن تسير بالناس حسب أمر الله

ورسوله، ولكن تسلك أقرب الطرق وأرفق الطرق  
الناس، ولا تشق عليهم في شيء ليس عليه أمر  
الله ورسوله. (شرح رياض الصالحين ٣/٦٣٤).

## ثانياً: حكم الرفق

التدبُّ والاستحبابُ، وهذا الحكم من حيث  
العموم، أما إذا كان التعامل بالرفق  
يحقق مصلحةً، وتركه يحقق  
مفسدةً، أو يفوت مقصداً شرعياً،  
أوهو مظنةٌ لذلك، فحكمه حينئذٍ  
الوجوبُ. وأما إذا كان التعاملُ



بالرَّفَقِ يَجْلِبُ مَفْسُدَةً، أَوْ يُقَوِّتُ مَقْصِدًا شَرْعِيًّا، فَهُوَ مَمْنُوعٌ، وَحُكْمُهُ التَّحْرِيمُ. (الرَّفَقُ فِي السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ ص ٤٤).

### ثالثًا: من فوائد فضائل الرِّفْقِ

للرَّفَقِ فوائد وثمرات كثيرة، منها ما يلي:  
(١) محبة الله تعالى: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ، قُلْتُ: أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: "قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ" (صحيح البخاري ٦٩٢٧، وصحيح مسلم ٢١٦٥).

(إنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ) أَي: لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ، يُرِيدُ بِهِمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِهِمُ الْعُسْرَ، فَيَسَامِحُهُمْ وَلَا يُكَلِّفُهُمْ هَوَاجًا وَسُعْيًا، (يُحِبُّ الرَّفْقَ) أَي: مِنْ يَرْضَى بِهِ وَيُثْنِي عَلَيْهِ (وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ) أَي: الْمُثُوبَاتِ وَالْمَأْرَبِ أَوْ مِنَ الْأَعْرَاضِ وَالْمَطَالِبِ (مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ). (مرقاة المفاتيح ٣١٧٠/٨).

فالإنسان الرفيق حريٌّ بأن يعامله الله-عز وجل- هذه المعاملة، فالله كريم وحليم تبارك وتعالى، فإذا كان الإنسان كريماً فإن الله يعامله بكرمه، وإذا كان رحيماً وحليماً فإن الله يعامله برحمته وحلمه سبحانه. (شرح رياض الصالحين ٥٠/٣).

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ اسْتِحْبَابُ تَعَاوُلِ أَهْلِ الْفَضْلِ عَنْ سَفْهِ الْمُبْطِلِينَ إِذَا لَمْ تَتَرْتَّبْ عَلَيْهِ مَفْسُدَةٌ؛ قَالَ الشَّافِعِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ: "الْكَيْسُ الْعَاقِلُ هُوَ الْفُطْنُ الْمُتَعَاوُلُ". (شرح النووي ١٤٧/١٤).

(٢) محبة الناس: قَالَ تَعَالَى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْوَالِدِ وَالْوَالِدَاتِ حَتَّىٰ يَصِلَ إِلَيْهِنَّ مِنْ قِبَلِكُمْ وَأُولَٰئِكَ يَرْزُقْنَ وَأُولَٰئِكَ يَرْزُقْنَ وَأُولَٰئِكَ يَرْزُقْنَ» (آل

عمران: ١٥٩)؛ أَي: بِرَحْمَةِ اللَّهِ لَكَ وَأَصْحَابِكَ، مَنْ

اللَّهُ عَلَيْكَ أَنْ أَنْتَ لَهُمْ جَانِبُكَ، وَخَفَضْتَ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَتَرَفَقْتَ عَلَيْهِمْ. وَحَسَنْتَ لَهُمْ خُلُقَكَ، فَاجْتَمَعُوا عَلَيْكَ وَأَحْبَبُوكَ، وَامْتَلَأُوا أَمْرَكَ. «وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا»؛ أَي: سَيِّئَ الْخُلُقِ «غَلِيظَ الْقَلْبِ» أَي: قَاسِيَهُ، «لَانْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ»؛ لِأَنَّ هَذَا يُنْفِرُهُمْ وَيَبْغِضُهُمْ لِمَنْ قَامَ بِهِ هَذَا الْخُلُقُ السَّيِّئُ. (تفسير السعدي: ص ١٥٤).

(٣) الرَّفَقُ زِينَةٌ وَكَمَالٌ: عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» (صحيح مسلم ٢٥٩٤).

(إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ)؛ أَي: لَا يُوْجَدُ (فِي شَيْءٍ) أَي: مِنَ الذُّوَاتِ وَالْأَعْرَاضِ (إِلَّا زَانَهُ)؛ أَي: زَيْنَهُ وَكَمَلَهُ، (وَلَا يُنْزَعُ)؛ أَي: لَا يُفْقَدُ وَلَا يُعْدَمُ (مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ)؛ أَي: عَيْبُهُ وَنَقْصُهُ. (مرقاة المفاتيح: ٣١٧٠/٨).

"ما كان الرَّفَقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَمَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ"؛ لِأَنَّ بِهِ تَسَهَّلَ الْأُمُورَ، وَبِهِ يَتَصَلَّ بِبَعْضِهَا بِبَعْضٍ، وَبِهِ يَجْتَمِعُ مَا تَشْتَتِ، وَيَأْتِلَفُ مَا تَنَافَرَ وَتَبَدَّدَ، وَيَرْجِعُ إِلَى الْمَأْوَى مَا شَدَّ، وَهُوَ مُؤَلَّفٌ لِلْجَمَاعَاتِ جَامِعٌ لِلطَّاعَاتِ، وَمَنْهَ أَخَذَ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَالَمِ إِذَا رَأَى مَنْ يَخْلُ بِوَأَجِبَ أَوْ يَفْعَلُ مُحَرَّمًا أَنْ يَتَرَفَّقَ فِي إِرْشَادِهِ وَيَتَلَطَّفَ بِهِ. (فيض القدير ٤٦١/٥).

(٤) الرَّفَقُ فِيهِ هَدْوٌ الْبُيُوتِ: عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا، أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرَّفْقَ" (مسند أحمد ٢٤٤٢٧، وصحيح الجامع ٣٠٣)؛ أَي صَارَ بَعْضُهُمْ يَرْفُقُ بِبَعْضٍ، وَهَذَا مِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ فِي الْبَيْتِ، وَالْمَحَافَظَةِ عَلَى تِمَاسِكِ بَنِيَانِ

الأسرة المسلمة وصفاء أجوئها. فالرفق نافع جداً في العلاقات الأسرية مع الأهل وذوي الرحم، ينبغي أن يسودها الرفق واللين بين الزوجين، ومع الأولاد، ويأتي بنتائج لا يأتي بها العنف. (أدخل عليهم الرفق): وذلك بأن يرفق بعضهم ببعض، والرفق لين الجانب واللفظ والأخذ بالأسهل وحسن الصنيع. والرفق محمود وضده العنف والحدة والعنف ينتجه الغضب والفظاظة والرفق واللين ينتجها حسن الخلق والسلامة. والرفق ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق، ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال. ولذلك أثنى المصطفى- صلى الله عليه وسلم- على الرفق وبالغ فيه. (فيض القدير ١/٢٦٣).

(٥) عنوان سعادة العبد في الدنيا والآخرة: عن عائشة: أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال لها: "إنه من أعطي حظاً من الرفق، فقد أعطي لها: من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار. (مسند أحمد: ٢٥٢٥٩، وصححه محققوه).

«ومن آتاه الله الرفق فقد أعطاه خيراً عظيماً من الثناء الحسن، والتوفيق، وصلاح البال، وطمأنينة النفس، ونيل المطالب وتحقيق المآرب، وفي الآخرة أجر عظيم، وثواب جزيل؛ وذلك بأن المتأني الذي يأتي الأمور بسكينة ورفق اتباعاً لسنن الله في الكون، واتباعاً لنبيه محمد- صلى الله عليه وسلم-؛ فإن هذا كان هديه وطريقه» (الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة: ٥١٦/٧).

والرفق نعمة عظيمة من نعم الله عز وجل، من أعطاه الله إياها، فقد فاز بخير عظيم في الدنيا والآخرة.

(٥) النجاة من النار: عن ابن مسعود، أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: "خرم على النار كل هين بين سهل قريب من الناس". (مسند أحمد ٣٩٣٨، وصحيح الجامع ٣١٣٥)؛ لين: سهل، رقيق لا عنف فيه. لطيف يسير المعاشرة، لين الجانب: سهل التعامل لين العريكة: سلس الخلق، سهل الانقياد، سمح رقيق لطيف طائع، (معجم اللغة العربية المعاصرة ٣/٢٠٥٧).

### رابعاً: مجالات الرفق:

الرفق في الأمر كله: فعن عائشة قالت: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله» (صحيح البخاري ٦٣٩٥). (يحب الرفق في الأمر كله)؛ في أمر الدين وأمر الدنيا، حتى في معاملة المرء نفسه. ويتأكد ذلك في معاشرة من لا بد للإنسان من معاشرته كزوجته وخادمه وولده؛ فالرفق محبوب مطلوب مرغوب، وكل ما في الرفق من الخير فني العنف مثله من الشر. (فيض القدير ٢/٢٨٧).

### خامساً: التحذير من ترك الرفق:

عن جرير، قال، قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «من يخرم الرفق يخرم الخير كله» (سنن أبي داود ٤٨٠٩ وهو صحيح).

أي: فيما تصرف فيه، فإذا تصرف الإنسان بالعنف والشدة فإنه يخرم الخير فيما فعل، وهذا شيء مجرب ومُشاهد، أن الإنسان إذا صار يتعامل بالعنف والشدة؛ فإنه يخرم الخير ولا ينال الخير، وإذا كان يتعامل بالرفق والحلم والأناسة وسعة الصدر؛ حصل على خير كثير. (شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٣/٥٩٢).

والحمد لله رب العالمين.



# الاستغفار للزوم الاستغفار

مقاله الشيخ عبده أحمد الأقرع

فرع اخناواني

عليه الصلاة والسلام: «والله إني

لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم

أكثر من سبعين مرة» (البخاري: ٦٣٠٧).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نَعُدُّ

لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد

مائة مرة: «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب

الرحيم». (صحيح أبي داود ١٣٤٢).

وعن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده، قال:

جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن جلوس

فقال: «ما أصبحت غداة قط إلا استغفرت الله

تعالى فيها مائة مرة». (الصحيحه رقم ١٦٠٠).

وصحيح الجامع رقم ٥٥٣٤).

وكان صلى الله عليه وسلم يقول في بعض أدعية

استفتاح الصلاة: «اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت،

أنت ربي، وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي

فاغفر لي ذنوبي جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت،

واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت،

واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت،

لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس

إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك

وأتوب إليك». (صحيح مسلم: ٧٧١).

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في

ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك،

اللهم اغفر لي: يتأول القرآن». (متفق عليه)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي

بعده: نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن ثلثة من

أنبيائه ورسله أن طلب المغفرة من الله هو رجاؤهم

ومطلبهم: فقال سبحانه عن الأبوين -عليهما

السلام- قولهما: «قَالَ رَبَّنَا عَلَّمَنَا نُسُكًا وَإِنَّ آدَمَ بِرَبِّهِ لَأَكْفَرٌ لَّا

وَرَزَقْنَا لَكَؤُومًا مِّنَ الْخَيْرِينَ» (الأعراف: ٢٣).

وقال سبحانه عن نبيه نوح عليه السلام أنه قال:

«رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ مَنُومًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُؤْمِنَاتِ» (نوح: ٢٨).

وقال سبحانه عن خليله إبراهيم عليه السلام

أنه قال: «رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ

الْحِسَابُ» (إبراهيم: ٤١).

وقال سبحانه عن كليمه موسى عليه السلام أنه

قال: «قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي» (القصص: ١٦)،

وقال: «قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِسْحَاقَ وَإِدْرِكَاسَ وَرَحْمَتِكَ

وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ» (الأعراف: ١٥١).

وقال سبحانه عن نبيه داود عليه السلام: «فَأَسْتَغْفِرُ

رَبِّيَ وَحَرَّرَكُمَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ» (ص: ٢٤).

وقال سبحانه عن نبيه سليمان عليه السلام: «قَالَ

رَبِّ اغْفِرْ لِي وَرَحْمَتِكَ لَأَكْفَرُ لَّا يَتَّبِعُنِي لِأَحْسَنُ مِن

مَتَابِعِي إِنَّكَ أَنْتَ الرَّؤُوفُ» (ص: ٣٥).

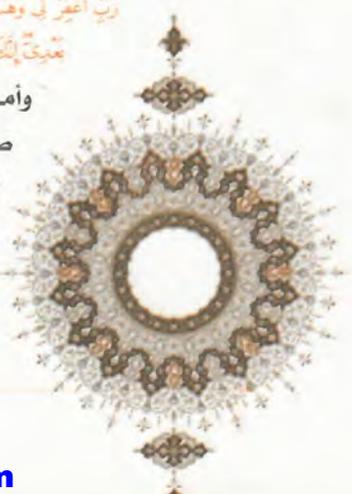
وأما رسولنا محمد

صلى الله عليه وسلم-

الذي غفر الله له ما

تقدم من ذنبه وما

تأخر- فقد قال



إخواني وقد بلغت الذنوب عنان السماء: **«وَكثيراً ما يذنب جليل حياً صبراً»** (الإسراء: ١٧)؛  
 ولما قال الصديق رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: علمني دعاءً أدعو به في صلاتي؟ قال صلى الله عليه وسلم: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم».. (متفق عليه).

وقد مدح الله تعالى أقواماً فقال تعالى عن أولي الألباب أنهم قالوا: **«رَبَّنَا إِنَّا أَسَفْنَا عَلَىٰ مَا كُنَّا نَفْعَلُ لَكَ ذُنُوبًا وَكُنَّا عَلَيَّكَ سَاقِطِينَ وَرَبَّنَا كُنَّا نَفْعَلُ لَكَ ذُنُوبًا وَكُنَّا عَلَيَّكَ سَاقِطِينَ وَرَبَّنَا كُنَّا نَفْعَلُ لَكَ ذُنُوبًا وَكُنَّا عَلَيَّكَ سَاقِطِينَ»** (آل عمران: ١٩٣)، وقال تعالى عن فريق من عباده: **«إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَفْغَرْنَاكَ وَارْتَمَيْنَا بِالْحُجَرِ»** (المؤمنون: ١٠٩). وقال تعالى عن المتقين: **«كَلِمَاتٌ خَالِفَةٌ مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ ﴿١٥﴾ وَإِن لَّا لَأَخْرَجَنَّ الْمُشْكِرِينَ ﴿١٦﴾»** (الذاريات: ١٧-١٨).

وحتى المعصية لا تمنع الاستغفار، كما قال تعالى: **«وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجْرَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ»** (آل عمران: ١٣٥)؛ أي: تابوا من ذنوبهم، ورجعوا إلى الله عن قريب. وقد قال الله تعالى عن أصحاب الشمال: **«وَكَلِمَاتٌ يُسْرُونَ عَلَىٰ لُحُوبِ الْعَظِيمِ»** (الواقعة: ٤٦). بل يكون عقيب الطاعات أيضاً، وحين الانصراف من الصلوات: قال تعالى للحجاج: **«فَإِذَا أَقْبَضُوا مِن حَيْثُ أَقْبَضَ النَّكَاسُ وَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ لَكَ اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»** (البقرة: ١٩٩).

وقال الله تعالى: **«فَأَقْرِبُوا مَا يَسَّرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ وَأَنَا إِلَهُكُمْ وَأَقْرِبُوا اللَّهَ رَبَّنَا حَسْبًا وَمَا تَقَرَّبُوا إِلَيْكَ مِن خَيْرٍ تَقَرَّبُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا تُكْسِبُونَ»**

والمراد بقولها رضي الله عنها "يتأول القرآن": أي: يتأول قول الله عز وجل في سورة النصر: **«لَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا»** (النصر: ٣).  
 فقه الأذعية والأذكار (١٤٢/٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده: «اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، وأوله وآخره، وعلانيته وسره».. (مسلم ٣٥٠/١).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين السجدة: «ربي اغفر لي، ربي اغفر لي».. (صحيح ابن ماجه: ٧٣١).  
 وعن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته قال: «أستغفر الله، أستغفر الله» (رواه مسلم: ٥٩١).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت».. (صحيح مسلم: ٧٧١).

سبحان الله!! الناظر في أحوال النبي صلى الله عليه وسلم يجد أن جل أوقاته صلى الله عليه وسلم الاستغفار وسؤال الله تعالى أن يغفر له، وهو صلى الله عليه وسلم المعصوم بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي قال الله له: **«إِنَّ فَتَنًا لَّكَ فَتَنًا فَبِينَا ﴿١﴾ لِيَعْرِفَ لَكَ اللَّهُ مَا قَدَّمْتَ مِنْ ذُنُوبِكَ وَمَا أَخَّرْتَ وَيُنَبِّئُكَ بِغَيْبِكَ وَتَهْدِيكَ إِلَىٰ رِمَاطٍ مِّنْهُنَّ»** (الفتح: ١-٢)، فكيف بنا



وَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ (المزمل: ٢٠).

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً، وقال: «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام». قال الوليد- أحد رواة الحديث:- فقلت للأوزاعي: كيف الاستغفار؟ قال: تقول: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله. (مسلم رقم ٥٩١).

كل ذلك يدل على أهمية الاستغفار، وعظيم حاجة الناس إليه، لما له من الفوائد الدنيوية والأخروية، فمن ذلك: أنه سبب لغفرة الذنوب، وتكفير السيئات. قال الله تعالى: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» (النساء: ١١٠).

وفي الحديث القدسي يقول تعالى: «يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم». (مسلم (٢٥٧٧)).

ويقول تعالى: «يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني، غفرت لك ولا أبالي». (صحيح الترمذي (٣٥٤٠)).

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفري فأغفر له». (مسلم (١٨٨٠)).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من

قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا

هو الحي القيوم وأتوب إليه،

غُفِرَ ذَنْبُهُ، وَإِنْ كَانَ

قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ..»

(صحيح الترغيب: (١٦٢٢)).

ومنها: أنه سبب لنزول

المطر، ونبات الزرع، والإمداد بالأموال والعيال.

قال الله تعالى عن

نوح عليه السلام:

«لَمَّا كَتَبْنَا بِاللُّغَةِ الْإِنسَانِيَّةِ

عَلَيْكَ نَادَاكَ رَبُّكَ أَنْ

تَقْرَأْ لِلَّذِينَ أُخْلِصَ

لَكَ مِنْ نَحْوِكَ مِنَ الْإِنسَانِ

الْقُرْآنَ» (نوح: ١٠-١٢).

ومنها: المتاع الحسن والمعيشة الطيبة. قال تعالى

على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: «إِن

تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ

مَخْرَجًا وَيَرْزُقْكُمْ مِنْ

حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُ» (هود: ٣).

ومنها: سبب لحصول القوة في البدن. قال تعالى على

لسان نبيه هود عليه السلام: «وَتَقْوَى اللَّهِ تَنْفِذُهَا

بِقُوَّةٍ وَإِنْ يَسَّرْنَا

لَكَ شَاءَ اللَّهُ لَيَبْذُرَنَّ

أَنْزَارًا يُغْرِقُ كُلَّ سَائِلَةٍ

وَمِنْهَا: جلاء القلب ونقاؤه. قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في

قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه». (أخرجه

أحمد: ٢٩٧/٢).

ومنها: قوله عليه الصلاة والسلام: «طوبى لمن وجد

في صحيفته استغفاراً كثيراً». (صحيح الجامع: ٣٩٣٠).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «من أحب

أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار». (صحيح الجامع: ٥٩٥٥).

ومنها: رفع الدرجات في الجنة. قال صلى الله عليه

وسلم: «إن الرجل ليرفع درجته في الجنة، فيقول:

أنى لي هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك». (صحيح

الجامع: ١٦١٧). والحمد لله رب العالمين.



# كيف نفوز بمحبة الله تبارك وتعالى؟

الحمد

لله، والصلاة

والسلام على رسول الله، وبعد،

من واجبات الإيمان ولوازمه: محبة الله

تعالى ورسوله ومحبة ما يحبه الله ورسوله

من الإيمان والعمل الصالح، وتوابع ذلك، ويُغض ما

ييغضه الله ورسوله من الكفر والفسوق والمعاصي،

ويغض أعداء الله تعالى ورسوله، قال شيخ الإسلام

ابن تيمية -رحمه الله-: «محبة الله ورسوله من

أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله وأجل قواعده،

بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين.

(التحفة العراقية: ص ٥٧).

ومحبة العبد لربه ينبغي أن تكون أعظم من كل

محبة أخرى. قال الله تعالى: «قَدْ لَبِثْنَا أَنْفُكُمُ

وَأَنَاؤُكُمْ وَأَخَوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ

وَعَمَلُكُمْ نَحْسِينَ كَسَادَهَا وَسَكِينًا تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ

بِحُبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ، فَتَضَوْا حَتَّى يَأْتِكُمُ

بِأَمْرِهِ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ك». (التوبة: ٢٤).

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله-: «

محبة الله ورسوله يتعين تقديمهما على محبة كل

شيء، وجميع الأشياء تابعة لهما: فقال تعالى: «قُلْ

إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَمِثْلُهُمُ الْأَمْهَاتُ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَأَخْوَانُكُمْ،

فِي النَّسَبِ وَالْعَشِيرَةِ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ»

أي: قربائكم عموماً، وأموال افتقرتموها، أي:

اكتسبتموها وتعبتم في تحصيلها، خصها بالذكر،

اعداد / عبد العزيز مصطفى الشامي

لأنها

أرغب عند

أهلها، وصاحبها أشد حرصاً عليها ممن تأتيه

الأموال من غير تعب ولا كد.

«وتجارة تخشون كسادها»، أي: رخصها ونقصها،

وهذا شامل لجميع أنواع التجارات والمكاسب من

عروض التجارات، من الأثمان، والأواني، والأسلحة،

والأمتعة، والحبوب، والحرث، والأنعام، وغير ذلك.

«ومساكن ترضونها»، من حسننها وزخرفتها

وموافقتها لأهوائكم، فإن كانت هذه الأشياء «أحبَّ

إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله»، فأنتم

فسقة ظلمة.

«فتربصوا»، أي: انتظروا ما يحل بكم من العقاب

«حتى يأتي الله بأمره»، الذي لا مرد له.

والله لا يهدي القوم الفاسقين»، أي: الخارجين

عن طاعة الله، المقدمين على محبة الله شيئاً من

المذكورات.

وهذه الآية الكريمة أعظم دليل على وجوب محبة

الله ورسوله، وعلى تقديمها على محبة كل شيء،

وعلى الوعيد الشديد والمقت الأكيد، لمن كان شيء

من هذه المذكورات أحب إليه من الله ورسوله،

وجهاد في سبيله.

وعلاوة ذلك، أنه إذا عرض عليه أمران، أحدهما يحبه الله ورسوله، وليس لنفسه فيها هوى، والآخر تحبه نفسه وتشتهيه، ولكنه يَفُوتُ عليه محبوباً لله ورسوله، أو ينقصه، فإنه إن قدم ما تهواه نفسه، على ما يحبه الله، دل ذلك على أنه ظالم، تارك لما يجب عليه". (تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن: ص ٣٣٢).

ومن أحب غيره كحبه- سبحانه- فقد أشرك مع الله غيره. قال الله تعالى: « وَمَنْ أَكْبَرُ مِنْ يُحْيِي الْمَيِّتَ وَيُمِيتُ الْحَيَّ وَمَنْ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ اللَّهُ فَنِعْمَ أَتَعَالَى الْعِلْمُ وَنَرَى الْيَوْمَ الْبَاطِلَ فِي مَا أُشْرِكُوا بِاللهِ كَيْدَ الْغَاطِبِ » (البقرة: ١٦٥)، "أي: يحبون آلهتهم كحب المؤمنين الله، وقال الزجاج: يحبون الأصنام كما يحبون الله؛ لأنهم أشركوها مع الله فسووا بين الله وبين أوثانهم في المحبة". (تفسير البغوي: ١٧٨/١).

ولما كانت محبة الله تعالى بهذه المنزلة، فقد ذكرنا في العدد الماضي أول الوسائل المعينة على الفوز بمحبة الله تبارك وتعالى، ونكمل فنقول وبالله تعالى التوفيق:

## ٢- ومن الوسائل المعينة على نيل محبة الله تبارك وتعالى:

### التفكير في الكون وأحداث الحياة:

مع الآيات المقروءة في القرآن تأتي الآيات المرئية والمنظورة في الكون وأحداث الحياة. فكل ما في الكون يدل على الله ويُذكر به « أَوَلَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ أَنْتَ عَنِّي نُكْرًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ ذُلُّوا عَنِ اللَّهِ عَمَّا كَانُوا فِيهِ يَسْتَبْشِرُونَ » (فصلت: ٥٣). ولقد حثنا- سبحانه- على أن نتفكر في آياته المبهوثة في كونه. وفيما يمر بنا من أحداث في حياتنا لتكون وسيلة للتذكرة الدائمة به، ومن ثم الوصول إلى معرفته، وحبه، والتعلق التام به. تأمل قوله تعالى: « أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِنسَانِ إِذْ أَنشَأَهُ مِنْ طِينٍ كَيْفَ بَدَأْنَاهُ بِرَحْمَةٍ وَأَنْهَأْنَاهُ بِقَدَرٍ إِلَى الْآرْضِ مُرْسِدًا وَنَحْنُ إِلَهُ الْغَافِقِينَ » (التين: ١٤).

## ١- تَبَصُّرًا وَتَذَكُّرًا لِكُلِّ عِبَادَةٍ (ق: ٦-٨).

ومما يوجه الانتباه أن الله عز وجل يُصرف الآيات الكونية ويكررها بأشكال مختلفة، كما يكرر الآيات بأساليب مختلفة في القرآن ليتم من خلالها التذكرة والتبصرة، ومن ثم يزداد الإيمان رسوخاً في القلب « وَالظَّرِيفُ كَيْفَ تَصَرَّفَ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ » (الأنعام: ٦٥). ومثال ذلك: الحر الشديد أو البرد الشديد، أو العواصف، أو... كل ذلك آيات تذكروا بالله عز وجل.

وكما أن الله عز وجل قد ذم من يعرض عن تدبر القرآن وفهم المراد من آياته، فإنه كذلك قد ذم من يعرض عن التدبر والتفكير في آياته المبهوثة في كونه « مَنْ أَعْرَضَ عَنْ آيَاتِنَا فَسَاءَ مَا يَحْكُمُ بِهَا » (الأنعام: ١٥٧). « وَكَأَيُّ مَن آتَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِشُرُوبٍ عَذِيبَةٍ وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ » (يوسف: ١٠٥).

ولذا لا بد إذا من التفكير في آيات الله المبهوثة في كونه المنظور والذي يشمل المخلوقات التي تراها أعيننا كالسما والحيال والأشجار، ويشمل كذلك أحداث الحياة المختلفة التي تمر بكل إنسان.

« أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَإِنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ انْقَرَضَ إِلَهُكُمْ، (الأعراف: ١٨٥)،

فيستدل المرء من خلالها على الله عز وجل فيزداد به معرفة، فإذا ما تجاوب القلب مع هذه المعرفة ازدادت مساحة الإيمان فيه، وانجلت بصيرته، وشيئاً فشيئاً ينير القلب فيرى بهذا النور صفات ربه تتجلى من وراء كل شيء تراه عيناه، فيوحده التوحيد الحقيقي، ويربط حياته كلها به.

لذلك كان التفكير من أفضل العبادات سواء كان هذا التفكير في آيات القرآن، أو آيات الكون.

يقول ابن رجب: "كان السلف يفضلون التفكير عن نوافل العبادة، وكان أكثر عمل أبي الدرداء الاعتبار والتفكير". (استنشاق نسيم الأوس، ص ٤٩).

## ٢- ومن الوسائل المعينة على الفوز بمحبة الله تبارك وتعالى:

تعديت الناس عن الله عز وجل وجلاله وعظمته ليجود:



ومن الأعمال الصالحة التي تسقي شجرة المحبة: تحبيب الناس في الله عز وجل، وذلك بالحديث معهم عن نعمه سبحانه ومدى حبه لهم ورأفته وشفقته ولطفه بهم. فهذه الوسيلة لها أكثر من فائدة، منها: أنها تذكر المتحدث بما قد يكون غفل عنه، فتجعله في حالة دائمة من التذكر والانتباه. ومن فوائدها كذلك: أنها تدفعه إلى العمل بما يقول حتى لا يدخل في دائرة من يقول ولا يفعل. ومنها كذلك: أنها من أفضل الأعمال التي يحبها الله عز وجل، ومن ثم فإنها تعرض صاحبها لتفحات المحبة الإلهية.

وعن أبي أمامة الباهلي أنه كان يقول: "حببوا الله إلى الناس يحبكم الله". (المحبة لله سبحانه للجنيد، ص ٥٧).

وجاء في الأثر أن الله عز وجل أوحى إلى داود عليه السلام: "يا داود أحبني، وأحب من يحبني، وحببني إلى خلقي. قال: يا رب، هذا أحبك وأحب من يحبك، فكيف أحببك إلى خلقك؟ قال: ذكرهم بالآتي فإنهم لا يذكرون مني إلا خيراً" (المحبة لله سبحانه للجنيد، ص ٦٣).

وعن كعب قال: أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام: أتحب أن تحبك جنتي وملائكتي، وما ذرات من الجن والإنس؟ قال: نعم يا رب. قال: حببني إلى خلقي. قال: كيف أحببك إلى خلقك؟ قال: ذكرهم آتائي ونعمائي، فإنهم لا يذكرون مني إلا كل حسنة، (استنشاق نسيم الأنس، ص ٤٥).

وكان أبو الدرداء يقول: "إن أحب عباد الله إلى الله عز وجل الذين يحبون الله ويحببون الله إلى الناس" (استنشاق نسيم الأنس، ص ٧٥).

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبب الناس في الله عز وجل، ويدفعهم للفرار إليه مهما ارتكبوا من آثام؛ فقد أتاه يوماً من الأيام شيخ كبير وهو يستند على عصاه، فقال: يا نبي الله إن لي

غدرات وفجرات فهل يغفر الله لي؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: فإن الله قد غفر لك غدراتك وفجراتك. فانطلق وهو يقول: الله أكبر الله أكبر" (أخرجه أحمد ١٩٦٥٢، وقال الهيثمي: رجاله ثقات).

وكذلك كان صحابته: فهذا أبو هريرة رضي الله عنه يلقي الفرزدق وقد كان شاعراً يقذف النساء، وكانت الناس تكره فيه ذلك، فماذا قال له أبو هريرة عندما لقيه؟

يقول الفرزدق: قال لي أبو هريرة: أنت الفرزدق؟ قلت: نعم. فقال: أنت الشاعر؟ قلت: نعم. فقال: أما إنك إن بقيت لقيت قومًا يقولون لا توبة لك، فإياك أن تقطع رجاءك من رحمة الله". (حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا، ص ٦٩).

ومات لرجل ابن مسرف على نفسه، فلقبه علي بن الحسين فقال له: إن من وراء ابنك ثلاث خلال: أما أولها فشهادة أن لا إله إلا الله، وأما الثانية فشفاععة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما الثالثة فرحمة الله عز وجل التي وسعت كل شيء. (حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا، ص ٦٩).

#### ٤ - ومن الوسائل المعينة على الفوز بمحبة الله تبارك وتعالى: الإلحاح على الله بأن يرزقنا حبه،

علينا أن نسأل الله عز وجل ونلج عليه بأن يرزقنا حبه، مثل ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن دعائه ما ثبت عن عبد الله بن يزيد الخطمي الأنصاري، عن رسول الله أنه كان يقول في دعائه «اللهم ارزقني حُبَّك وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ. اللهم ما رزقتني مما أحب فأجعلهُ قُوَّةً لي فيما تحبُّ. اللهم وما زويت عني مما أحب فأجعلهُ قُوَّةً لي فيما تحبُّ، (السلسلة الصحيحة، ٧٠٧).

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.



صدر حديثاً

# المجلد الجديد

## بمقر مجلة التوحيد

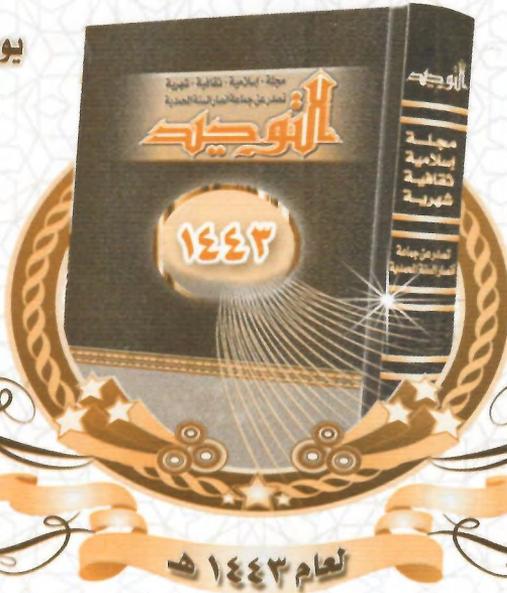


يوجد مجلدات السنوات القديمة

سعر المجلد ٢٥ جنيه

بدلاً من ٥٠ جنيه

حتى عام ١٤٢٩ هـ



١٢٠٠ جنيه

سعر الكرتونة بدلاً من

~~١٥٠٠ جنيه~~

لفترة محدودة

هدايا قيمة

لأول ١٠٠ مشترٍ

سعر المجلد الجديد

١٠٠ جنيه

لعام ١٤٤٣ هـ

الآن أصبحت 51 مجلداً من الموسوعة

للحصول على المجلدات والكرتونة الاتصال على قسم التوزيع

واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢٢



Upload by : altawhedmag.com

علم نافع لا يستغني  
عنها البيت المسلم

# التوحيد

يسر مجلة التوحيد الإعلان  
عن عودة خدمة الاشتراكات  
الخاصة بالأفراد والمؤسسات  
على أن يكون سعر الاشتراك  
السنوي للفرد (عدد نسخة  
واحدة من المجلة على عنوان  
المشترك) ٢٠٠ جنيه سنوياً.

للتواصل واتساب: ١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

